



عيون المعاصرة

محمد السعدي

حدث أبو هريرة قال ...

تقديم
توفيق بركات

دار الجنود للنشر - تونس



محمد السعدي

حدث أبو هريرة قال ...



رقم النشر 02 0006

الغرض 3,750 د.ت.

أبو هريرة خطر على اطمئنانك .
يستنطقك - بلا رحمة - عن معنك بما يسلطه
عليه من امثلة قاسية تمس بأصول الحياة :
الولادة والموت والدين والسياسة والحب وقرعك
مهما كان اعتقادك على معاودة فهمك لوجودك
والثبث في صحة علائقك بنفسك وبالمجتمع
وبالله وبالكون . وليس هم أن يقنعك برؤيته
بل أن يردك الى نفسك عسى أن تضطلع واعيا
بمصيرك فتكون انسانا .
من أقوى نصوص أدبنا المعاصر، تجربة
فريدة في الكتابة .

محمد السعدي : من كبار الأدباء العرب في العصر الحديث ورأس
مدرسة فريدة في الكتابة . ولد بتاريخ سنة ١٩١١ . من خريجي المدرسة
الصادقية وحاميه الصوريون . ميز في اللغة والآداب العربية . أشرف فيما
بين ١٩٤٣ و ١٩٤٧ على مجلة « الساحل » . تقلد مسؤوليات عدة في
الحداثة الوطنية والثقافي . تولى بعد الاستقلال وزارة التربية الوطنية ثم
وزارة الثقافة بتونس . أشهر مؤلفاته : السد ، مولد النسيان



تقديم السلسلة

أن نتجذر في العصر ذلك ما يأمرنا به واقعنا العسير . واننا ما لم نستجيب لهذا الامر فتشعب بروح الحاضر لمشاولون سياسيا وحضاريا عجز أمام التحديات القاتلة - وليس مآلنا أن نكون مطمعا للاستعمار الجديد يفترسنا بضراوته التكنولوجية أو متحفا اثولوجيا لامتناع منذوقي العتيق أو لوحة فلكلورية لتسلية السواح . فلا بد أن نعدل حياتنا على ساعة العصر حتى نخرج من سلبية المفعول به - تاريخيا - الى ايجابية الفاعل ونثبت حضورنا دوليا وعلى حد السواء في مراكز النفوذ ومواطن الخلق ، خلق الاشياء والقيم والعلوم والفنون . فهو شرط وجودنا الاكمل في هذا العالم الذي نحن منه ولا نملك اليوم أن نؤثر في سيره بملء وزننا . فلنخترع أنفسنا من جديد ، وإنه ان اقتضى ذلك منا ان نخلع عنا الرجل القديم فلا يقتضي أن نسلخ من هويتنا لنغترب في الآخرين . فالحداثة ان نستوعب أسباب التقدم في كافة المجالات حتى ننمي مجتمعاتنا تنمية شاملة ونفجر فيها طاقات الخلق المدفونة تحت ركाम الفقر والظلم والعدوان ، بحيث نصبح قادرين على المساهمة الناشطة - بطرافة شخصيتنا - في صياغة مصير العالم .

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار الجنوب - تونس 1979
79، نهج فلسطين - تونس

الطبعة الثالثة 1989

هذا الاهتمام الملح هو الذي أملى على دار الجنوب للنشر أن تقدم
بفتوتها على إصدار سلسلة خاصة تعنى بنصوص أدبنا الحديث
وتحمل اسم « عيون المعاصرة » بكل ما في « العيون » من الإحياءات
فعلى مدى قرن من الوجود - انطلاقاً من أوائل النهضة إلى اليوم -
قام الأدب العربي الحديث - نصاً بعد نص - صرحاً من الكلام
نحته الذهن العربي على تعاقب الأجيال من تطلعاتنا وتراجعاتنا
وانجازاتنا وحياتنا وثباتنا وحيرتنا وصوابنا وأخطائنا في مواجهة
المصير منذ أن أفقنا بين الأوجاع على عنف التاريخ . وهو أدب
يخبرنا عن أنفسنا في مسيرتنا المتعرجة خلال الزمن الحديث ومنى
عرفنا كيف نحكم معه الحوار استطعنا أن نستمد منه - جدلياً - ما به
نواصل بأكثر استبصار وجدوى طريقنا نحو مجتمع متقدم .

وستهتم « عيون المعاصرة » بما اشتهر واستقر من تأليف كبار
أدبائنا وبما هو جديد من عطاء الحاضر المتدفق فتقدم لكل نص
تنشره بمقدمة من انشاء خيرة نقادنا - مغرباً ومشرقاً - تكشف أبعاده
وتوظفه - قوة فعالة - في صراعاتنا الراهنة من أجل وجود أفضل .
و « عيون المعاصرة » آفاق طليقة لا يحدها حد اذ هي مؤمنة بحرية
الخلق والتعبير مفتوحة على رياح الفكر العربي اين كان المهبط ولا
تشرط في الانتاج الا أن يكون من صميم الابداع وفي صميم
القضايا يثري شخصيتنا ويدفع الى الامام . فلتك عقديتها وهو
التزامها الوحيد وستفي .

محمد المصمودي

توفيق بكار

الإهداء

إلى أبي رحمه الله ،

الذي رثت معه صبائي على أنعام القرآن
وترجيع الحديث ، مما لم اكن افهمه طفلاً ولكنني
صُغْتُ من إيقاعه منذ الصغر لحن حياة - ورباني
على ان الوجود الكريم مغامرة طهارة ، جزاؤها طمأنينة
النفوس الراضية في عالم أسمى فأسمى - وفي انشاء
ذلك كله عاتمني بإيمان سبيل إيماني .

م.م

مُقدِّمة الكاتب

هذا كتابٌ كتبتُه منذ أحقاب ، حين كنتُ أروم
أن افتحَ لي مسلكاً إلى كياني الإنساني ، وأقضيَ حَجاً
إلى موطني المفقود : وفاءً حنينٌ إلى الذاتِ الجوهرِ
الفرْد ، وتوليدٌ للعِشرة من معدنِ الوحشة ، وإشهادٌ على
أنَّ تاج الكيان مرَّكبٌ من العشق والفناء .

وقد طرحته منذ ذلك العهد طرَحَ الحَيَّة جلدُها .
ثم عدتُ إليه بعد أن شاعتْ مِنِّي في أبعاد العمر كلُّ
مُهْجَةٍ ، فإذا هو يحدِّثني بحدِيثه اذ ذاك ، صدَّى مِنِّي

المَيَّ : ككل حي لا يزال : الحياة كَوْنٌ واستِحَالَةٌ
ومأساةٌ ، فإذا هي ارتدَّتْ ظاهرةً وقراراً ورضى ،
فهي الخسرانُ ولعنةٌ على الزائفين .

ولئنْ أنا اخرجته اليوم إلى الناس ، وأحييته كما كان
أحياني ، فعلى أمل أن يكون لدى غيري - ان استطاع - ما به
تدرّيتُ على أن أكون .

وإن كلَّ كيانٍ لجَهْدٌ وكسْبٌ منحوت .

تونس - خريف 1972

٠٠٠

تمهيد

إلى القارئ

الآن ، وقد انتهيتُ وطرحتُ بهذه الصحائف
الضعيفة الناحلة اليك - انظر فلا ارى غير العدم ...

ستذهب هاته الصحائف فتمضي وتمحى . فهي
انفاسي قد ذهبتْ ولها ربحٌ ما يبلى ويأكله الدود .
كجميع الذين كتبوا من قبلُ ، يظنون أنهم خلدوا
وأمانوا الموت . وما خلدوا . وأتمما هي آلامُ الانسان
بترامي صداها من قرْنٍ إلى قرن ومن جيلٍ إلى جيل ،

كما يتردد صدى الرعد بين الجبال ، فلا يكون للرعد حياة او ترن الصخور . وليس لكل رعد صخور تردده .
فقد ينفلق بقاع صَقَصَفٍ فلا يصيب من الدوام الا طرفة العين .

وان هذا الكتاب لكالصوت او كالصيحة في وادٍ به حاجة الى ما يردد صدها ويُسرِّي فيه خلجة الحياة .
فقد كتبتُ أكثره في الليل جعلته دعائي للصباح ، واستوقيتُه ولما يَنْفَسُ الفجر .

وليس لطالب ان يطلب فيه جديدًا من المعاني طريفاً ، لانه لا يكون عندي أطرف ممّا ينشأ في نفس القارئ عند مطالعته من الافكار والمشاعر . فلتدخل اليه اذن ايها القارئ بأمرك الباطن وتنتشره عليه ، وإلا فلتعرض عنه ولتدعه إلى غبار المكاتب والنسيان . هو دعوة الى احياء نارك . فان لم يُحيها من رمادٍ ، فقد مات وبطل همك منه .

واذا كان لا بُدَّ له من جدّة وطرافة لتُقبل عليه ، فاعلم أنّه ليس في نظري أطرف من جدّة القديم : كنفسك وأحلامك وأسأك وحيرتك . ولعل أجدّ ما فيه بعد قصّتك الباطنة ، روح أبي هريرة ، لانها تنسب إلى اقدم الاقدمين وتودّ أن تنسب اليك . ولعله ليس شان الكاتب الجدّة والطرافة ... وانما هو ان يفتري على يده الجوهر عن العرض العارض .

وقد يحتاج أبو هريرة عندك إلى التعريف ولستُ بمعرفه لك (١) . وانما لك من شأنه ما قد يقع بنفسك عند انتهائك من هذا الكتاب . ولتذكر بيت أبي العتاهية :

وأيّ امرئ في غايّة ليس نفسه
إلى غايّة اخرى سواها تطلّع

(١) في رواية أنّ أبا هريرة ثلاثة : أولهم الصحابي رضي الله عنه وثانيهم النحوي وثالثهم هذا .

وقول « هُولِدْزَلاين » : « أتعلمُ على مَ حزنك ؟
إنَّه ليس على شيءٍ مفقودٍ فقدته من زمنٍ مُعَيَّنٍ
يمكنك أن تقول متى كان عندك ومتى ذهب . إنما
هو على شيءٍ لا يزال حياً قائماً فيك . هو عهدُ أسمى
من عهدك الحاضر تطلبه ، هو عالمُ أجمل من
عالمك هذا ... »

ولتذكر نُذِرَ « سفر التكوين » : « لا تأكلُ من
الشجرة الحرام . فأنتُ إن فعلتَ لذائق الموت » .
وشأنُ « نيتشه » يقول : « اذا ذهب صدقي فقد
عميت . فإذا أردتُ المعرفةُ فقد أردتُ الصدقَ ، اعنى
الشدةَ والتضييقَ على نفسي والقساوةَ لا تلين » .

• •

اذا قرأتَ هذا الكتابَ فله عليك - في مسيرتك
اليك - ان تكون قاسياً غيرَ رحيم .

أوجاع الإفافة على الناسخ العاصف

« على أمل ان يكون لرنات مغامرة ابي هريرة في
لفسك الكريمة صدى كريم » .

اهداء الكاتب نسخة من قصته الى صاحب التقديم

لا اظن قريحتنا الروائية خلقت أقوى ولا أبعث على الدهش من
شخصية أبي هريرة . كائن شديد الغرابة يمتزج فيه الصوفي بالمغامر ،
يهيم باللانهاية كعشاق الحق قديما وله وجدهم ، جرى يحب المجازفة
كهواة المخاطر من هذا العصر . قرر أن يضطلع بمصيره في كامل
المسؤولية ، أن يحيا صاحبا مفتوح العينين شديدا على ذاته وعلى غيره
لا يموه شيئا على نفسه ولا يساوم على ما يعتقده الحقيقة ولا يتسامح
فيه مع أحد . فهو دائم الحيرة لا يني عن التطواح كأنما يقلقه في كل
لحظة الى حد الذعر أن يخطئ الوجود فيقوته . يعيش في دوامة السؤال لا
يدع أمرا الا استفهم عنه ولا تجربة الا زج نفسه فيها يشك ويفحص
ويختبر . متطرف في كل شيء في الأفكار والعواطف والمواقف يهوى التناهي
فإذا طرق سبيلا مضى فيه لا يقف الى ان يبلغ الغاية . تفتنه الحياة ويفجعه
الموت على السواء الى الجنون وهو مشدود اليهما كالمعذب تكاد عراه
تنفصم من شدة التوتر . يجب أن يتحدى وتغريه العظيمة ، يريد أن

يكون انسانا ، أن يكون الانسان ولا يخلو من عجب قد يصل الى التعنجه . شخصية عتيدة وبلا مرأى صورة مذهلة من قوة الابداع . ورغم أنه طيف خيال ونحت كلام ، خرافة كبيرة فهو يعيش بيننا كأنه من الاحياء جزأ من واقعنا . هكذا الادب اذا كان خلوقا يصير قوة تتحرك في الوجود فاعلة . ولا تملك متى عرفت . في الاعماق لا على السطح . ألا تتفاعل معه . فهو يجذبك اليه ويستطلقك بلا هوادة عن معتك فيرغمك مهما كان اعتقادك على معاودة فهمك لوجودك والتثبت في صحة علائقك بنفسك وبالمجتمع وبالله وبالكون . ولا يهم بعد ذلك إن لم ترضك أجوبته بوله على الاسئلة أجوبة فليس غرضه ان يفرض عليك رؤيته فيجعلك اليه بل ان يردك الى نفسك « فيحيي نارك » . ومذ عرفته . شخصا . وأنا معه في جلد صعب عميق لانه يمس بجذير الاشياء . يسائلني من موقعه الفكري الخاص عن الحياة والموت والحب والدين والسياسة وأجابه او العكس بالعكس من موقعي الفكري الخاص بلا محاباة على قدر صراحته صدقا بصدف وكلانا - ككل الناس - جالس على جانب ما من فوهة بركان واحد . فوجدتنا نلتقي في صميم مذهب الانسانية نعظم معا هذا « الذي حارت البرية فيه » وهو « حيوان مستحدث من جماد » ونحمله كامل المسؤولية ثم قد نفرق في ما وراء ذلك من المدلولات والابعاد . هو روح جامحة الى المطلق مفتونة بالابد وبصر ضارب في أعماق « الغيوب » وآفاقي أنا التاريخ وهو أوسع لا تحد وأبعاد لا تدرك وليس وراء التاريخ الا التاريخ ، ويؤمن بأنه « جوهر فرد » الى حد الوحشة المضنية حتى وهو

بين الناس وأعتقد أنني « مفرد بصيغة الجمع » أو . وليس لي أدونيس بقلب عبارته « جمع في صيغة مفرد » الى حد الاكتظاظ بل الاختناق أحيانا ، وحيث أرى ملحمة اجتماعية هائلة تغير كل شئ وتجسد معنى الحياة بلا نهاية يرى مأساة فردية مزعجة وقصة معادة مذ كان الانسان وتختم حتما بالموت . وليس الذي بيننا مع ذلك حوارا باطلا وانما هو تبادل حقيقي ومثر . كم نسينا في مجتمعاتنا العربية أن الحوار لا يكون الا بين اثنين (على الاقل) ومع التباين حتى وان بلغ حد التناقض . فلا انصاف للآخر ولا اعتراف له بحقه في الاختلاف ولا بحريته في ان يكون هو لا غيره فكرا وعملا بل قسر بالسجن أو التشريد والتعذيب أو القتل على الدخول في الصف والامتثال « للحقيقة » السلطانية . خسرنا كثيرا وما زلنا نخسر بهذا السلوك المتوحش . فهمني أبو هريرة رؤيته للوجود ولعاني أفهمه ما رؤيتي وكشف لي عن نواح من الحياة كنت غافلا عنها . بل أكثر من هذا أخرجني مرارا بأسئلة دقيقة لا تقوى عليها الردود الجاهزة ولا الشعارات الشائعة فاضطرتني الى التعمق في مبادئ لا استنباط أجوبة جديدة من شأنها أن تقنعني قبل أن تقنع غيري . فليس من أقل مزاياء علي - بلا سخرية - أنني به صرت أتقدم في فهم مذهبي وفهم الحياة . وهذه قصته كما انفلت بها نفسي من خلال هذا الحوار الطويل .

بدأ كل شيء ذات فجر بـ « بعث أولي » انفتحت فيه نفس أبي هريرة على لغة الوجود وانتهى كل شيء ذات غروب بـ « بعث آخر » عبر معه أبو هريرة حدود الدنيا إلى « شواطئ الأزل » . وبين هذا الفجر وذلك الغروب رحلة حياة امتدت به من مطلع العمر إلى أن جاوز الأربعين و« آن الرشيد » رحلة طويلة وراء نفسه ومغامرة تلو مغامرة اقتحم فيها الوجود من شتى الشنايا ليختبر أبعاد بشرته وتوحدت . في جو من الخوارق - بتجلي « الحق » له في قمة جبل شاهق ففني فيه ولم يبق منه إلا آثار من الدم على الصخر تشهد بمصيره الانساني وأخبار متشورة يسردها الرواة .

كان في أول أمره يعيش بمقتضى العادة كسائر أهل « مكة » - ومكة هنا كناية عن المجتمع الاسلامي في عهد ركوده التاريخي - ينسلم الحيلة من السلف كما هي ولا يتسائل عن مبرراتها ، متدبنا يؤدي الصارات في أوقاتها ، متزوجا على السنة ، متخلقا بالقيم الموروثة فلا يرى في الجسم إلا قبحا ينبغي أن يستره وباختصار كان مثال المسلم التقليدي إلى أن جاءه ذات يوم صديق له - كنتم هويته كأنه من دعاة بعض للمذاهب السرية - فدله خفية على ما كان يجهل من أشكال الاحتفال بالحياة وإذا هو بفجأ في خلاء الصحراء ساعة صلاة الفجر بمشهد مدهش كأنه من عالم الحلم : على رأس كتيب في مستوى الافق تنفجر شهوة الوجود أنغاما ورقصا موقعا من جسدين عاريين ، فتى وفتاة « في قبي آدم وحواء » بقيمانها صلاة أخرى وثنية طارية للشمس الآله وهي تطلع على الكين وترسل في الموجودات من فيض نورها وحرارتها روح الحياة « سلام على الروح بسري على بسر » ومن وراثتها

واحدة « سرور » ضائعة بين الرمال مثل الجنة تجري من تحتها الانهار . ومن جسم الفتاة وهو يترج في طلاقة عريه ويعاقق بهجة الكون في جذل ذاتها في النور أو الهواء أو الرمال يتلقى أبو هريرة « دعوة الدنيا » رائحة وسط « هذه الاشجار وهذا الماء وهذا النور وهذا الفضاء وهذا الخلاء » . فلا يتردد الا قليلا ويستجيب فيترك مكة والزوجة والصلاة وقد « بعث » من بين « الاموات » إلى الفردوس ، ليس فردوس السماء الذي ما فتئ يحلم به حتى كاد يغيب فيه كليا عن واقعه بل فردوس الارض وقد مات عنه حتى أحياه بنفحة من طيبه . من جنة موعودة إلى جنة موجودة ملهى « البعث » مجازيا ومداه دلاليا انقلابا في التفكير من لا هوية مغرقة ترتقي بكل الحياة إلى الآخرة - « لهم الدنيا ولنا الآخرة » - إلى انسانية معتلة تنزل بكل الحياة إلى الدنيا حتى تعمل لها « كأنها تعيش ابدا » . على أن « هبوط » أبي هريرة من التهويم في السماء إلى مباشرة الارض - وسبحان في حديث « الغنية » عكسيا أن يعود إلى السماء - كان مثقلا بشهوانية غامرة تحيل - خلفيا - إلى مذهب بعينه . فالفردوس الذي مثل لابي هريرة بغية كالذي يوعده به المتقون في الظاهر ولكن نعيمه مستمد من وحدة الوجود وإياحة أهل الفطرة ووثنية الاولين : خلاصة الفلسفة الطبيعية من أسطورة آدم وعصره الذهبي إلى « اندري جيد » و« أطعمته الارضية » مرويا بمذهب « ديونيزوس » وتصوف ابن عربي وآراء « روسو » . فكأنما « بعادت الروح » إلى أبي هريرة بعودته إلى « الطبيعة الام » يتخذ معنى الحياة من زخر مائدتها . فهي التي بعثته من رميم الرجل القدام الذي كانه فهب

انسانا جديدا يسعى بكل حواسه الى ملاقة الكون للعب من نبع الوجود ونكهته
 وافتح قواطعك للوجود وخله لليم للامواج للديجور
 حتى تعانقه الحياة ويرتوي من ثغرها المتأرجح المسجور
 « ظمئت الى النور فوق الغصون ! ظمئت الى الظل تحت الشجر ! »
 « ظمئت الى الكون ! فأين الوجود وأني أرى العالم المنتظر ؟ »
 « هو الكون خلف سبات الجمود وفي أفق اليقظات الكبر »

صوت يجاوب صوتا كالصلى يتردد في ارجاء البيعة التونسية بين
 الحربين معبرا عن تلهف جيل كامل الى الحضور من جديد في دنيا
 « غبنا » عنها طويلا وهو من مظاهر الافاقة على التاريخ في تلك الفترة
 الانعراجية التي انشقت فيها بعد مخاض عميق القوى الاجتماعية
 الحديثة عن هياكل القديم نهائيا وانطلقت في حركة متعاطلة تبدل
 بأفكارها الجديدة وجه الحياة . « فالبعث » - آخر الامر - صورة مجازية
 ترجع في ذلك الوقت عن قفزة الطلائع المثقفة من الماضي الى الحاضر
 ورمزها هنا أبو هريرة وقد كان - وهو سمي الصحابي المشهور - اسما راسخا
 في القدم ينو بعبه التقاليد فصار عنوان المغامرة في العصر والسعي
 الجسور الى اعادة بناء الحياة . هكنا تشف كثافة الرمز عن واقع المجتمع
 وتغرس الكتابة رغم تباعدها في أرض التاريخ .

ويبدأ أبو هريرة رحلته وهو في عنفوان الشباب بالغوص في أعماق
 الحس وقد تفتق فيه على « منع الدنيا » : الطعام وطيبه والخمر وسكرتها
 ولذة الهوى . . . نشوة السقم - فحتى « العلة » صارت - في ما عانى -

من « محبيات الحياة » وحال البلوغ الى النصف الآخر من « متاع الدنيا » .
 ويغرب أبو هريرة في تعاطيها ويتطرف همه أن يذهب فيها الى أبعد حد
 ولا يبالي ان شذ عن الاخلاق المتعارفة بل هو يتعمد تحديها بعنف
 اذ انقلب على التزمتم تمردا « نواسيا » يستحل ما تنهى عنه تقاليد
 « الحشمة » باسم « حقيق الطبيعة » وشرعية الرغائب رغائب جيل كان
 يشعر - حسب عبارة القصاص محمد العربي في يومياته وهو معاصر
 للمسعودي - « بجوع كافر الى الحب » . فهذه القصة هي فيما أعرف
 أولى نص أدبي يطرح بمثل هذه القوة وهذا العمق الفلسفي قضية الجسد
 في المجتمع العربي الحديث . وقد اجتمعت لابي هريرة كل هذه المنع
 على اختلاف ألوانها لدى قينة تجنن الرجال بحسنها الغرب وشروء
 روحها ربحانة المرأة الزهرة ولكنها زهرة من لهب « كأن في عينها نارا
 وفيها ماء حميما » . شعلة منبعثة من سفير كبير لا ينطفئ موقده لانه
 موقد الحياة ذاتها وهو الجنس والاهاه - في المنطق الاسطوري للنص -
 « أساف ونائلة » شعار الحب العاصي . ورثت ربحانة سرهما عن قومها
 وكانا من أشياعهما قبل أن يذهب بهم الحريق . أول ما رأى أبو هريرة
 هذه المرأة أدرك من هي « عمدها » خمرًا ثم تحت شجرة واقعها بين
 قهقهات السكارى في ضمة وحدث بينهما جسدا وروحا ودشت صحبة
 ساخنة دامت ثلاث سنين . أذاقته ربحانة أفانين اللذة وأدخلته في عبادة
 الصنمين وكانت تقام لهما في ضيعته ليلا شعائر كشعائر المجوس
 على نار تنقد « ذكرا به لوعة الصادي » وحبل اللسان الحمراء الطالعة
 أشباح المريرين فنية وفتيات يرقصون كالشياطين أزواجا وهم عراة على

جنين الدفیف والمزاهر وريحانة « سادة المعبد » تشدهم من « كتاب »
معبوديتها :

أساف وناثلة أوقدا جذواتي
هذه الدنيا اناث كلها تدعو الذكور
يسمع منها لهات بدؤه بدء الدهور.....

« تخميرة » وثنية أو « ربوخ » « اباحي تعظيما » للجدوة واذكاء لها حتى
تشعل نارا على نار . يتلاعب الكاتب بكل معاني النار من الجنس الى
الوثن الى جهنم وابليسها سلسلة واحدة من الدلالات . وكأن بشارا وهو
من الشعراء الموحين الى الكاتب يوسوس من خلف السطور هنا :

ابليس خيم من ابيكم آدم فتبصروا يا معشر الفجار
النار عنصره وآدم طينة والطين لا يسمو سم النار

ويشارك أبو هريرة بهذا الحفل الجاهلي في اضرام أوار الجسد ليروض
نفسه في نوع من « الجهاد » الصوفي على تملك زمامة وهو في أقصى
التهايه لانه صار لا يحب السير الا « والهاوية » يطل على القاع وظل صاحبا
لا يأخذ الدوار يمنعه من الدهشة شيء ما . أجل ثمة قلق خفي بدأ
يدخل لذته حتى في أشد حميتها وهو شعور لا يزال خافيا بديب الفناء
في كيانه مع مرور الزمان فيحاول أن يقنيه من نفسه بالنحدي الساخر
كما يبلو من علاقته الغريبة بمقبرة المدينة وتقع تحت شرفة بيته .
فقد اتخذها له ولصاحبه مجلس أنس وفراش هوى . على أديمها

بروق له أن يتعاطى حبيبه كأنه اذ يهصرها على « رفات تلك العباد »
يقهر الموت فيطمئن ويبلغ قمته الوجود . هكذا بسورات الهوى ظن
أن قد تدأبى من نحر الداء القاتل كما حبت ريحانة أنها بسحر
جمالها قد شدته من حواسه اليها في خلد جنتها - أو جحيمها -
« تأكله ويأكلها وتغنيه ويغنيها » وكلاهما للآخر آفاق دينيه الواسعة .
ولكن الشعور بالموت احتد ولم يعد أبو هريرة يرى في المرأة وان كانت في
فته ريحانة الا فردوسا كاذبا ولا في الهوى على عتفوانه الا سراب أبد .
أورثته وليمة الجسد « جوعا » في الروح يغفر فيه كهوة العدم التي يحس
أنه يتلذذ فوقها . ويشد به السؤال : أي خير في « مائدة » تقدم للانسان
حتى اذا شرهت اليها نفسه انتزع منها عنة الى التلف ؟ وهل ريحانة
نفسها الا « كالزهرة على القبر » جمال منغرس في تربة الفناء أو كالشمس
لا يشرق نورها الا لبنتظفئ ويغيب ؟ أصبح الموت يسر نشوته ويشيع
في الكائنات والاشياء حوله طعم البلى حتى تعفت في فة اللذة
و « شاخ النور » في عبه بعد الذي وجد « من جلة العمر » ولا يتجاوز
الثامنة والعشرين . ما أسرع ما شفعت « ارادة الحياة » باحساس الموت
حتى صرنا لا نعرف أيعيش أبو هريرة حياته في الموت أم موته في
الحياة ؟ كيف انقلبت الافاقة على التاريخ كحركة تدفع الى الوجود
تفجعا من الزمان كسيل يجرف الى العلم ؟ ولم ارتدت الملحمة
الاجتماعية في الواقع مأساة فردية من النص ؟ بين القصة وسياقها توتر
شديد ستكشف بقية المغامرات عن أسبابها . على أن وعي الموت لدى
أبي هريرة سيصبح من الآن أقوى وازع للحياة بلقي عليها ظلاله وفي

واذ أبقن أبو هريرة ان سيرة الحواس أو هي من أن تنسبه فاجعته
لم ير بدا من استئناف الرحيل بحثا عن معنى آخر للحياة يراه أخلق
بإنسانيته وأدحض للموت . فليس من شبيهه كشخص مأسوي يرفض
خداع نفسه - وعلى عكس المثل المعروف في كلبية ودمية - أن يظل
منشغلا بـ « العسل » و « التين » في قعر « البئر » يتربص به فامفتوحا
لالتهايم . ويعمد الى علاقته بحبيبه فيجتنها من العروق وهي لا تزال
حية فيه ثابتة فيذهب عنها ويظل منها الى آخر أيامه « أعجز الناس عن
الحب » . أما هي فلم تمنح ذكره من ذهنها الى أن شاخت فقد كان
بصرها بالحياة حتى صار لها كل شيء بعده « وضاحا » . السعدي حريص
في ما يبلى على أن يلبع بطله مع النساء خاصة ذو المرأة تجلوطن
صورهن وصور الاشياء حولهن على حقيقتها . فقد « وضع » أبو
هريرة ريحانة كما سيضع بعدها ظلمة . وما هذه الا صورة معكوسة من
تلك . فولدت كلتاهما للدنيا من جديد . بعثهما كما بعث وبقية عينه
التي « كأنها تنشئ مرثيا انشاء » مهما يكن من خوارقه مع ريحانة
فانها لا تستطيع أن تخفي أن علاقته بها - بالمرأة فيها - لا تخرج في
النهاية عن دائرة تصور ما رجالي شائع . طبعا ليست ريحانة من النساء
اللائحي دجنهن المجتمع المحافظ بشدة الكوابت كالزوجة المسكينة التي
لم تظهر في القصة الا لتأخذها الصاعقة . وكان أبو هريرة يحنو عليها
برقة ولكنه يدعوها الى « الجهاد » معه فتأبى وجلا أو تقوى . ريحانة امرأة

طليقة أبدة كما تهوى روحه المتمردة وبعثتها ما في ذلك شك ولكن هل
هي بالنسبة اليه الا انثى شبيهة؟ فانها لم تكن سوى وقفة لذينة في طريق
« المسافر » ومستراح ينقض عنده البطل « عناء الجهاد » جسد ممتنع
ولكنه مشدود الى الأرض عاجز عن الارتقاء مثله الى « القمم الشاهقة »
كأن ليس لها من روح إلا روح الجسد . كذلك كانت ميمونة مع غيلان
في « السد » و « المرأة العارية » مع « راعي النجم » في قصة علي
الدواعجي المشهورة على ما يعرف في هذا الاخير من تفهم عميق للنساء .
فالرجل دائما روح منتقلة الى الغايات البعيدة وحركة لا تهدأ والمرأة
دائما كتلة من الحواس وقرار في المكان (الداركما نقول) ووضى بالوجود
الملموس الداني . وعلى فرض أن هذا التصور يعكس تفاوتا حقيقيا بين
وضعية كل من الرجل والمرأة في مجتمع ما بين الحربين أفهم من طبيعة
الاشياء فيطلق حقائق أبدية : « أكلما تمرد شيطان في انسان قامت
له امرأة نيبا ؟ أكلما قامت في قلب أعاصير جعلتها النساء خطوطا
مستقيمة ؟ » أو - ويقول هذا في ظلمة لا في ريحانة ولكن كليهما في
الحكم « امرأة » - « كذا المرأة لا تكون الا واهنا مقطع الجهد فاذا
همت أو اشتدت بعض يوم اذا هي رماد » - واذا المؤونة سثلت ... »
ظلم قديم . وما عجيبي الا من أبي هريرة يرى البعيد بعينه الخارقة
ويعش عن القريب يريد أن يحرق المرأة واذا هو يكرس فكرة « نقصها
الجبلي » .

ويدخل أبو هريرة طور العزلة فيختل عن الانس في « واد لا يسكنه

الا الجن . مكان ملائم يتناس فيه عالم الواقع وعالم الغيب بحيث تشف بينهما الحجب وتنكشف الاسرار كما سيقع بعد حين . أبو هريرة دائم التطرف معنى ومكانا فكما يؤثر السير على شفا المحاوة كذلك يؤثر السير على تخوم الدنيا يشرف منها على ما وراء فعينه كما قالت ظلمة - « أشد ما رأيت شوقا الى ما تراه غيرها من العيون » . وعينه مع صوته هما الشبان الوحيدان اللذان يبدوان من معالم وجه المحتجب وكلاهما معقود بأعماق الروح من ناحية « كأن روحه البصر » وبأبعاد المجهول من ناحية أخرى « كأن صوته رجع غيب بعيد » هكذا أبو هريرة لا يعيش الا في الا نهاية . وفي خلوة ذلك الوادي ينعم بذاته في توحيدها سائحا في أرض كالعروس توتيه من شهى ثمارها ، سابحا في ديمومة تبلو مطلقة من الزمان أشبه بآدم في جنة . وتعود صورة الجنة مرة أخرى وليست المرة الأخيرة كاشفة في باطن أي هريرة عن حنين شديد الى الفردوس المفقود الى البدء وما يعتقد من براءته وسعادته وأبديته . شوق الروح الى أصلها ؟ أفلاطونية قديمة . الانطلاقة عهد على بدء أم نحت للحياة على غير مثال سابق ، من جديد واستنباطا من ممكنات التاريخ ؟ كدت أرى أبا هريرة كقول جحجلول المعري « يمشي الى الوراء زفقوته » . على كل لا ندوم بأبي هريرة لذته بنفسه . فما من عادته أن يقتصر على حدود فرديته طويلا والا اختنق في جلده . ألم يكن منذ الصبي يتزعج الى الأخيرين نزوعا مؤثرا وينوق الى التلبس بهم حتى يحبوا فيه ويحبوا فيهم ؟ ولكن لماذا هذه الشهوة الافتراضية التي تداخل مشاعره نحو غيره حتى بهم يشق

البطلون وسرق الارواح كان الآخرين لا يعنونه من حيث هم بل من حيث هو وحاجته الى الامتلاء . أبو هريرة يزعم أحيانا من فرط عنجهية . ولا يلبث أن يفتقد بعده الجماعي « فيشتاق العدد » عدد الجماهير ويعود اليهم « مرصلا » إذ يتاجيه « الغيب » في ذلك المكان المسكون بسر الطين كما ناجى موسى ربه في طور سنا . وينزل عليه كالحوي يرده الى الجماعة . فقد ناحت الريح ذات يوم - ترجمه عن القوى الخفية - بصوت كأنه نشيج الانسان يتوجع اليه من الشقاء منذ القديم ثم هاجت فأزاحت الرمال وأرته رسما دارسا وجمجمة آدمية وقف عليها يفكر - كما وقف « هملت » على جمجمة « يورك » يتحسر : « أواه يورك المسكين ! » - وإذا هذه الاطلال والعظام البالية تصفعه « بقصته العجوز » : طين ماله الدمار والتلاشي وما فتئ يعاني حتى يخترعها من جديد . وكأنما تتجمع في نفسه اذك آلام الانسان وثورته فيرفض « الحنم » ويصق في وجه الموت مصرا على « بكر السيل » . ثم يرى في المنام رؤيا تؤكد فيه روح المقاومة . يرى صورة الانسان تأله « وقال أنا ربكم الاعلى » : فرعون « ذي الاوتاد » يشرف من أعلى صلافته الانسانية - وهامان رأس السحرة الى جانبه - على قومه وهم يغالبون الدهر بالطين والصخر ليشيدوا عظمة الانسان وخلوده . فتلهسه الرؤيا معنى القدرة الانسانية الخلاقة والفعل الذي « ينفي العدم » وأن « الطين » الذي جبل منه الانسان كائنا ضعيفا عابرا لهو الذي يمكنه من بناء مجده ودوامه . يطل من وراء فرعون شخص « بروميتي » رمز العصيان الانساني كما لاح من خلف أساف وثائلة طيفا « يخوس » اله الإباحة و « فينوس » ربة الحب . وشأن

المسعودي في هذا النص وغيره من النصوص الاخرى أن يستبدل من وجوه الميثولوجيا الغربية وجوها أخرى في مثل قوتها مأخوذة من الاساطير العربية حفاظا على الاصاله الثقافية في مجال التخيل والتمثيل. وهذه من ابداعاته المحسوبة له . أيهما مالك السماوات والارض : الانسان أم الاله ؟ « فرعون أم الله ؟ » سؤال خطير يطلب جوابه في مغامرة جديدة مغامرة القتل .

ونبنى أبو هريرة في تجربته هذه بميلاد بطل « السد » : غيلان « الانسان الرجيم » الذي تمرد على الآلهة وأخذ ينازعها السلطة على الكون اعتدادا بقوته . وكلتا الشخصيتين تجسم في مستوى الابداع الطاقات الجديدة التي فجرها التاريخ في صلب مجتمع ما بين الحربين وكانت تتطلع الى السيطرة على المصير بمسؤولية تامة حتى جعلت ارادتها فوق مشيئة الاقدار « فلا بد أن يستجيب القدر » كما قال الشامي . وتأكد هذا الايمان بالانسان في مصارعة المواقف الجبرية التي كانت توكل كل شيء الى القضاء فصار « يمكن الخروج عن سلم قيم مركز على معنى الله الى سلم قيم مركز على معنى الانسان » (1) . ويخرج أبو هريرة من « ضيق محبس النفس » الى « كثرة البيم » ليعمل مع الجماهير عساه يحقق فيها وبها الذات الانسانية في أشمخ

(1) مع الاستاذ محمود المسعودي كاتب الدولة للتربية القومية - حديث مع أسرة مجلة التجديد - السنة الاولى العدد الثاني - مارس 1961 .

صورها . ويطلع على « أحياء العرب » بكلبه وعصاه في هيئة بين الرسول الهادي - وله جنة - والزعيم السياسي . وكان الناس من شدة المجاعة كالوحوش تنقاتل على جيفة وقد قومت ظهورهم كثرة السجود لرب السماوات يركلون اليه الامر في « اسلام » جبان وفرط الركوع لآلهة الارض يستبدلن عليهم ويسوسونهم . « حكمة » الرومان القديمة : « جنّة من رغب ولعبة تلهيهم كالصبيان » . فيستغز أبو هريرة فيهم العزة بالانسان ويدعوهم باسم « مذهب غرب » الى الارتفاع - مدى قامتهم قامتهم البشرية - الى السلام والاخاء والقوة والبناء أو يخطب فيهم كالمهيج الثوري : « هاته الارض نحن خلقناها وهاته السماء نحن رفعنا عمادها فأقمناها فهل ملككم من خيراتها شيئا ؟ ... حجبا الشمس وفيها لكم نور به تهتدون ، وأمسكو عنكم العيون وفيها لكم حياة ، وذبحوا عنكم البقرة الصفراء . وقالوا ما يولد منكم البيم غدا نأكل جهله ونمتص دمه وما حرثتم البيم الى أفواها من الساعة سنأبله . وقالوا : نسائكم لنا اماء وأرواحكم مرعى أيها الضعفاء ... » ين الكلام كأنه مقاطع قرآنية أي آيات « كتاب » جديد ؟ آيات : « سفر الفقر والثروة » كما قد يقول الشاعر عبد الوهاب البياتي ؟ فبدخل الجائعين جنته ويشبعهم من خيراتها ويخرج بالمستلذين كئيبا ثائرة على الطغاة توقدها « حمراء » ونفسه ثملة بطرة من الفعل ومتجزاة ولكن بعد سنتين من المعاناة يخيب سعيه مع الجماعة خيبة تلقى به في قاع اليأس من الناس ومن نفسه « وكان »

ذلك أول انحداره الى نجه « فقد وجد الجموع » أحقر
من بعض « نفوسهم » شر في ضراوة الذئاب - كما قال عنهم « هبس »
من قبل - وهن « لا دواء له وهم ان استحقوا » الرحمة « فلا يجوز
« الايمان » بهم .

لا أرى أبا هريرة « الرسول » في خيته مع الجماعة الا صورة أخرى
من « النبي المجهول » :

أيها الشعب لبني كنت خطابا فأهوي على الجذوع بفاسي
لبت لي قوة الاعاصير ان ضجت فأدعوك للحياة بنبسي
لبت لي قوة الاعاصير . . . لكن أنت حي يقضي الحياة برمس

« لكن » ! كل المشكل في « لكن » هذه التي وقفت في النص كما
وقفت في الواقع جدرا منع في وقت ما بعض كبار أدبائنا - وكانوا اذاك
شبابا ثائرين - من تعميق علاقتهم بالشعب . لان الشعب « روح غبية »
كما يقول الشابي و « العلد » « شر وهن » كما يقول المسعدي ؟
لو قلبنا معنى « لكن » فجعلناها استدراكا على الاديبين لا على
الشعب ؟ ألا يجوز أن تسامل على ضوء التطور التاريخي من النبي كان
في الحقيقة « النبي المجهول » في ذلك العصر . هما أم الشعب ؟
أما تحرك العمال تحركهم العتيق بين 1924 - 1926 ؟ فكيف يصّر
« نبي » الشابي سنة 1930 على اتهام الجموع بالحماقة ؟ والمال العشي
الكبير من 1932 الى 1938 ؟ وانتفاضة 9 أفريل 1938 ؟ ألم يكن

في كل هذا إلا الفساد والقسوة كما يقول « رسول » المسعدي ؟ لو أردت
أن أقسو على أبي هريرة لقلب عليه بعض كلامه وقلت له ساخر اذ
يسامل في القفر أليما وحيدا بعد فشله : « أوهكنا يزني الدهر بالامل
البكر ؟ » : « لو كنت عشت في مستقبل الدهر لقرأت ما سيكتبه التاريخ
من ملاحم « أحياء العرب » صارعوا استعمارا كان يبلوك « الحتم »
- ولعله من حيث لا تشر حقيقة « الموت » الذي كان يسد عليك
اللاق - فكسر نظامه وفتح ل « لأمل البكر » - ولك أبا هريرة - سبيل
التحقق . فان لم يتحقق الامل كله بعد ذلك فالمسيرة لم تنته . اذن معنى
هذا التضارب الشديد بين النصوص والواقع المساق لها ؟ فهو ان دل
موضوعيا على شيء فانما يدل على أن المسعدي - كالشابي - ما كان
يعنيه تحليل التجربة التاريخية على حقيقتها بقدر ما كان يهمه أن يؤكد
موقفا ذاتيا متأزما استوحاه من فلسفة ما . فلسفة « نبشه » وكان من
أتمته في التفكير - ولم يؤثر في الشابي الا بطريقة غير مباشرة . وهي
ترتاب في « الكثرة » ارتباطا شديدا ولا تؤمن بغير الافذاذ الا واحد ترى
فيهم مصادر القوة في التاريخ والروح في الجموع : « دعوني أيتها الاجساد
ليس لها روح غير ما سلبن من روحي ! » . هكذا الجماهير والنساء لدى
أبي هريرة سواسية جثث خاوية وما الروح كل الروح الا هو ؟ عجب
رومي ! كالنبي لعب برأس الشابي طويلا

الويل للدنيا التي في شرعها فأس الطغام كرشة الرسام
وبحضرتي - ردا على معنى هذا البيت - قول ماثور عن بعض

شخصيات الكاتب المسرحي الألماني «برتلد برشت» ولولا نظرفه في المنحى المعاكس لهفتت به «الويل لشعب يملك ابطلا !». ومس عندنا رؤسا أخرى في الادب والسياسة فغلطها في حقيقة جدواهما تاريخيا بقدر ما حجب عنها فاعلية الجموع . وبعد أليس اذا لم ير أبو هريرة - بعد «النبي المجهول» - من وجه الشعب الا جانب الظلام قد نظر اليه بعين واحدة لان الاخرى مأخوذة بنور «اناه» المتشامخ ؟ على أن الشامي انتهى قبل موته الى الإحساس بأن الشعب قوة من قوى الكون فكفر عن «النبي المجهول» بقصيدته الذائعة «ارادة الحياة» فالتأمت «رشة الرسام» «بفأس الطعام» وأما المسعدي ؟ فأمره محير . فهو يحكم على لسان أبي هريرة ببطلان «العدد» وفي الوقت نفسه يهدي قصته (في المخطوط) .

الى هذا الجيل من البطولة حياته !

الى روح تونس الخالدة أرض المزج والنار !

تجاذب بين المبادئ وقوة الواقع ؟ وهناك ما هو أغرب . فكرة المسعدي في الجماهير لم تتغير الى اليوم لانها عقيلة فلسفية وليست نتاج ظرف عابر . ولو شاء لامكنه أن يقدم قصة بمثل ما قدم به مسرحيته «السد» . «هذا كتاب كتبه في عهد انفراد وتأمل وامتحنته بعد العشرة والعمل مع الناس سنوات فلم ألفه تنكر لي ولا أنكرت منه فأجرحته على علاته» .

انظر الى حديث «الجماعة والوحشة» وقد جعله الكتاب تنويجا

للتجربة الاجتماعية فهو لا يقل تشاؤما من بني الإنسان عن سابقه حديث «العدد» وبينهما مسافة 34 سنة ... شيء مدهش اذ هو الحديث الوحيد الذي أضافه الكاتب الى النص الاصيل قبل طبع القصة كاملة . شيء مدهش ! مع أن المسعدي كان بعد «عهد الانفراد والتأمل» قد التزم قضايا بلاده وخاض صراعات عصره مثقفا عنيدا قاوم الاستعمار على الجبهة الفكرية مع أسرة مجلة «المباحث» المشهورة ومسؤولا نقائيا كبيرا واكب جماهير العمال في نضالهم ووزيرا للتربية القومية غداة الاستقلال أرسى سياسة التعليم على دعائم ديمقراطية وعصرية أفلا يعتبر كل هذا الا مغامرة فردية لا ساس لها يعمل «الكثرة» ؟ ألم يكن محمولا بقوة الحركة الجماعية ؟ المسعدي يعرف الحجة عليه ولكنه حسب لغة العقود «بصر ويوقع» على مذهبه .

وبرتد أبو هريرة الى نفسه وقد تقطعت وشائجه بالناس ليعيش - حتى وهو بينهم - في وحشة لا تطاق يعاني آلاما باطنة تذكرها فيه ذكرى الموت منذ الصبا : ذكرى أخته الصغيرة عذبتها الآفات ثم ذهبت بها باكرا و«حسبه الشيطان» «فقالوا هو الله» . وتسلل الخلل الى منطق الحياة حتى صار أبو هريرة لا يرى فيها الا «وجه حق باطل» : عبثا ولا معنى يشتمل عليه من كل ناحية ويصليه بنار حميمه فيبكي «من القضاء» أو يشرب ليدوخ . ثم يفر بمشاكله المستعصية الى الدين لينتمس فيه «الغبية» ويرقى الى «دير العذاري» وهو منفصل عن الارض تقربا للسماء فيسأل رهبانه طريقة الفناء في ذات الله وكان «ممن ذهب ايمانه وحلت حيرته» فيعتكف صائما ويمعن على طريقة المتألهين

من النصارى - في تعذيب جسده تمزيقا بالاعطار لعله يخلص منه ومن مقتضياته الى الملكوت فينسى الارض وطينها . ولكه يطلب نفسه بعد كثرة الصلاة والنسج فيجد « حاضرة » بكل أنقالها واذا هومع ظلمة « في الشيطان » يملأ للمحارب فجوا - كأساف وثالثة - وقد أدرك « أن الآله لا تقام اذا هوت » وأنه ما تناسى المرء الجسد الا « أكلته الخيالات » فكانت مغامرته مع ظلمة على عكس مغامرته مع رحمة فهذه أغرقه في الحس حتى اضطرت فيه أشواق الروح وتلك أوغلت « في مراقي الروح حتى فار فيه الجسد » ويقل أبو هريرة معلما بين الروح والجسد والسماء والارض لا يجد في ذا ولا في ذاك « كامل ذاته » .

وتدخل أحواله بعد ذلك في تأزم شديد يدور في حلقة مفرغة من الاشكال ولا يجد منفذا بجري كالماء لا يقر له قرارا من شدة الحيرة صامتا كالعمى « ضاع وعجز عنه الكلام » كالعقلة التي أصابت لسان الغزال في « المنفذ من الضلال » « أعمى » ضاعت « قبيلته » بعد « موت الجهات الست » فتجرد العالم من كل دلالة وتفيض روحه شيئا فشيئا عن حدود الدنيا وترتج به الى التجاوز فلم يبق له الا أن يجرب « حكمة الجنون » على غرار أبي رغال . وما أشبه أبسا رغال بسوس قومه بمنطق البعث الى حد الظلم الازرق بكليةولا جعل حصانه عضوا في مجلس الشيخ يستشيره في مصالح الناس وقضايا البلاد . فهل معنى البجاة في أن لا معنى لها ؟ وهل « العقل » في أن يواجه المرء بطلانها بالعتة ؟ ويجفل أبو هريرة

من هذا المال وقد أشرف على تخم الخبال . ولكن المأساة تفلت نطحته حتى ليسر في الشوارع كالميت بين الاحياء يسأل المارين صفعة تفتله « فتحيه » وهكذا بعد « البعث الاولي » الذي فتح بصيرته على الوجود « وقع على الدنيا فأقناها » دون أن يصيب امتلاء فهو الآن أشعر ما يكون بنقصان الكيان رغم كثرة المغامرات فما وجد « حقيقته » كاملة لا في الجسد ولا في الروح ولا في الوحدة ولا في الجماعة ولا في العقل ولا في الجنون يدرك أنه اقتنع بأن الانسان كائن أبتر محدود بحدود « منزلته » في الوجود ولا يكتمل الا بتخطي « عالم النسبة » الى لا نهاية المطلق وهذا ما انتهى اليه أبو هريرة بالفعل في خاتمة مسيرته عند غروب شمس آخر يوم من أيامه استجمع فيه ذكريات ما فات من وقاته في الدنيا : الولادة والموت وفتنة المرأة وحماقة الناس ثم « ضرب عتق الزمان » « وخرج من الظلمات الى النور » في ساعة الغيب التي انما يخرج فيها سائر الناس . كآبسي المدائن وهو صوته قبل البعث الاولي . من ضوء النهار الى عتمة الليل . يناديه « الحق » في خلاه جبل أصخر شاقق أن يتسامى الى « سحره » فبهز أبو هريرة قرنه وينطلق مليا وما هي الا أن تفرقع الصخور هاوية وتسهل الداية من الام ويصبح أبو هريرة فرحا حتى يدفع على المكنان ظلام موحش . انتهى كل شيء على مقربة من أبي المدائن . رمز الرجل العادي . وهو مبهوت أمام هذا المشهد الهائل وكأنه يحضر « مادة شياطين » . « و غاب » أبو هريرة في أوساع الكين .

خواتم المسعدي في كامل آثاره متشابهة . كلها تعتمد معنى واحدا : « الجور » . في شكل غامض . الى عالم آخر لا تعرف أين يقع هناك

حملت الرياح غيلان بعد انهيار السد و « حوت طهارة الاعماق »
 السندباد بعد أن اختنقت نفسه « ببتونة » الوجود كذلك ابتلع الكون
 أبا هريرة . أما ان الكاتب يجمل « انتقال » أبطاله عن دنياهم بهالة
 من العظمة فهذا ما لا شك فيه ولكن القارئ يظل حائرا في معنى هذه
 « النهايات » لا يدري أهو عظمة الانكسار أم عظمة الظفر . وانه
 ليلدو من المتناقض ألا يحقق هؤلاء الابطال انسانياتهم تامة الا
 بخروجهم عن بشريتهم . ومن ثمة تبدأ نصوص المسعودي - على اختلافها -
 ملأهم تشيد بقوة الانسان وتنتهي مآسي تؤكد حدود تلك القوة فكأنما
 الانسان عاجز مهما جهد عن تبديل وجه الحياة جذريا .
 وبعد فرأى المسعودي أن « الادب مأساة أولا يكون مأساة الانسان يتردد
 بين الالهية والحيوانية وترف به في أودية الوجود عواصف آلام
 العجز والشعور بالعجز أمام نفسه » (1) .

أفلا يكون شرف الانسان الا في المحاولة أبدا ؟ أخشي أن يقع
 الكاتب من حيث لا يحب في أسطورة سيزيف « مع فارق جوهرى
 هو أنني لا أضع « مأساة المغامرة الوجودية » في اطار « العبيبة »
 بل في اطار « بطولة الاصرار على الجهاد ولو ضد المستحيل ولو مع تجدد
 الانهزام وتكرر الاندحار » بجيب المسعودي .

بلا جدال أبو هريرة صورة مثقف وعى ذاته ورياح العصر تدفع
 المجتمع الى التقدم والحرية فانطلق ينحت له بين الزهو والجدل مثلا
 جديدة تشيد بجلال الانسان وقدرته على صنع مصيره . ثم اذا السعي
 الجسور يتبدد في مناه اللامعنى وتذوب في « آلام العجز » شوة الخلق .

(1) « أبو العنانية » - مجلة المباحث - العدد 12 - 1944

9 أبريل 1938 : يوم في التاريخ تهشت على عتفه الموجة فانطلقت
 في الاشياء ضياؤها وتلطخت آفاق البلاد بالسواد وما لبثت آفاق العالم
 بأسره أن تلوثت هي أيضا بدخان كثيف انبعث من حرائق الحرب
 وخرائبها . تشاؤم أبي هريرة من قنطرة ذلك المناخ واذ ضاق ظرف
 الزمان عن الاشواق بثست من الواقع وانقذت خارجه نحو المطلق والابد .
 تلك قصة الافاق على التاريخ بين فرحة الاندفاع وأوجاع الردة من قبل أن
 يعود الموج الى التدفق نحو الاستقلال . على أن هذه القصة وإن انبثقت
 دلالاتها من واقع عصرها في تجاوز مستمر لذاتها تصير مع الزمان ولا
 تكون . فهي ككل أدب حي منتهية متجددة : منغلقة - من حيث هي
 أجوبة نهائية - على رؤية صاحبها وإيمانه بأن المأساة حقيقة الانسان في
 الكون ومن حيث هي أسئلة جذرية عن معنى الوجود مفتوحة على القراء
 اليوم وغدا تحض الضمائر حتى لا ترضى أبدا بالواقع المعطى وتحفرها
 افرادا ومجتمعا الى تبديل الحياة جيلا بعد جيل وأفضل فأفضل .

والقصة ، أخيرا ، على السواء مغامرة وجودية جريئة وتجربة قصوى
 في الكتابة . فكما بعث المسعودي أبا هريرة اسما ومعنى من أعماق الماضي
 كذلك بعثه شكلا وأسلوبا في تناسق فني متين . فبينما خير كتابنا يكدون
 قرائحهم لتملك وسائل الرواية الغربية وقد يشوا من موزونهم القصصي
 واقنعوا بأن لا معاصرة الا ما صور الغرب ، رفض المسعودي أن ينقطع
 عن أصوله الثقافية ليغترب في صياغات الغير وأصر في عناده شديد . وكان
 الوحيد - ألا يتقدم في العصر الا مستمرا مع ذاتيته الحضارية . ولا
 يؤسف شيء كأن يرى الادب العربي الحديث في جل مدارسه صورة
 هجينة من الاداب الاروية فلا يزال يلح على واجب الترفع عن ذلة

الحاكمي الى عزة المبتكر وبقينه أن التجذر في التراث هو الكفيل وحده
بتمكين العرب من مشاركة الأمم الأخرى في الابداع ، ابداع قيم
الفكر وأشكال الفن . وكل ما كتب ، وأبو هريرة بالخصوص ، رهان
كبير على ذلك . عاد الى اعماق التراث فاستمد منه أعرق أشكال
السرد عند العرب : الحديث أو الخبر لا ليقلده بروح سلفية عقيم بل
ليعيد اختراعه بقوة الذهن الحديث . فخلافا لما وردت عليه الاحاديث
في التصانيف القديمة من ساذج النظم وزعها المسعدي في قصته
حسبما تقتضيه أحدث أساليب البناء القصصي . ففصلها على المواقف
وحدات متقطعة تتداعى معنوايا أكثر مما تتلاحم زمانيا لأنه كسر خط
الزمان وتصرف فيه طردا وعكسا بما لا تنكره آخر تقنيات « الرواية
الجديدة » (والقصة ألقت سنة 1939 ولم يتح لها أن تنشر كاملة الا سنة
1973) . وركب تلك الوحدات عروضيا بين طوال وقصار كالاسباب
والأوناد في التفعيلة الخليلية . يمتد النفس السردى في المغامرات
الكبرى ويتقارب متسارعا كاللهاث في أشد فترات الحيرة والتأزم .
فكان القصة كلها بيت من الشعر يوقعه بحر مستبطن من روح العصر .
وتفنن المسعدي في ايراد حوادث القصة بتعدد روايتها . فاتخذ من
الأسانيد التقليدية زوايا ينظر منها الى حياة البطل من بعيد أو قريب
والخارج والداخل ومن قبل أو من بعد . وتتضارب الأقوال أحيانا
في الحدث الواحد كما في «حديث الطين» فتختلف اذك على أبي هريرة
الأصواء وتتقاطع حتى تغمض الرؤية عمدا . وتلاعب الكاتب بأوقات
الرواية كما تلاعب بأوقات الاحداث لمزيد التنوع في البناء . خذ لك
مثلين : «حديث الوضع» و«حديث الوضع ايضا» وهما في موضوع واحد

علاقة أبي هريرة بريحانة ، وتلاحقان في ترتيب الكتاب مباشرة ، فبينما
الاول حدث به ريحانة بعد وفاة صاحبها كما يشهد بذلك ترجمها عليه
في آخر الكلام سرد الثاني أبو هريرة « في آخر عهده بالدنيا » . فالقصة
تجري من أولها الى آخرها على زمنيين : زمن الوقائع وزمن روايتها والمدة
بينهما تتفاوت من خبر الى آخر كما في المثلين المذكورين : زمن الحدث
فيهما واحد وزمن الحديث اثنان قبل موت أبي هريرة وبعدها .
وتضاعف زمن الرواية بتضاعف المحدثين في السند : « روي عن أبي
سعد ، قال : حدثت ريحانة قالت : ... » ويدهي أن تكاثر الازمنة
يكشف القصصية في الخبر لأن كل راو - وهذا أعجب ما في وظيفة
السند - حكاية مسكوت عنها في النص . فـ « حدث أبو المدائن قال :
... » قصة مضمرة تترك لك حرية تخيل تفاصيلها وهي قصة ظروف
رواية الخبر وتشتمل عليه كإطار له . كل متن في الخبر يندرج في اسناده
كقصة داخل قصة ودائرة في دائرة أوسع . هذا اذا كان المحدث واحدا
أما اذا كان اثنين : « حدث مكين بن قيمة السعدي قال : حدثني
هشام بن أبي صفرة الهللي : ... » تشعب تركيب الخبر فصار قصة
داخل قصة ودائرة في دائرة أوسع في دائرة أوسع (تمثل الأمر سينماتيا
تدرك حقيقته) . ولا تنقل آخر دائرة في النص الا افتتحت أخرى
خارجه لأن سلاسل الرواة تفضي الى الكاتب ومنه البنا فيصبح القارىء
بدوره من المحدثين ... وحلقة في اسناد القصة . وما أنا الآن الا من
رواتها وهذا التقديم قصة أخرى عنها . أبو هريرة - شكلا - قصص
مضاعف : قصة تتولد عنها قصص تذيبها ولا تنتهي الا أن تموت هي .
وكل الرواة داخل الكتاب وخارجه كصوت الذاكرة الجماعية يردد

على الأجيال أسطورة رمز كبير . هذا ما فعله المسعدي بالشكل وفعل مثله بالأسلوب . تلقى عن كبار النثرين القدامى لغتهم الأثيلة فعدل بها عن موضعها وولدها كلاما آخر . فهي تتحرك في النص مشحونة بمادة الفكر الحديث ومثقلة في الوقت نفسه بتالد معانيها ، قديمة جديدة . وقد وقف منها الكاتب موقف الشاعر فحاطبنا بها على أسلوب الاستعارة . بث فيها من خياله الغريب مجازات يلتقي فيها الحسي بالذهني فجأة على بعد المسافة بين السجلات : « والوهج يأكله (أبا هريرة) أكل الحسنة للغة » - « وكان كلما انتشر في خواطره سجا كالبحر وشاع كالدهر وامتد » - « فكان حديثه رجع غيب بعيد » وعشرات آخر وليست من « المحسنات » بل هي موظفة في كنه المدلول تختلج في صور قوية . فان وجد أبو هريرة ، للرمل « كس لطيف النهود » فلأن الرمل سيبله الى جسم الفتى العاري ويصبح جسم الفتاة بدوره « رقيق الرمل يجري بين الاصابع » . المرأة أرض والأرض امرأة « وتصورت لي بكر من الأرض تدعوني » دلالة على اندماج الانسان في الطبيعة والطبيعة في الانسان وذبوان معا في وحدة الوجود وحدة شهوانية تقطر لذة جنسية كعناق العاشق والمعشوق . وكتابات المسعدي مبطنة برغبة جنسية محمومة وليست مفاتيحها في يدي . وفضلا عن الخيالات فعبارة المؤلف كلها اشارات لا تكلمنا بالمعنى بل بمعاني المعنى اذ هو « ملتزم للرمز اجتهدا » كما يقول وحريص على أن يجعل الجملة « حبل » . « أرأيت كيف سافرت بنا النار » من معنى الى معنى فانظر الى « الشمس » كيف تنصرف الى مشتقات شتى : فجر البداية وغروب النهاية ووضح التجلي أو روح الكون ومعبود الفراعنة راع أو اله عبد

الشمس في الوثنية الجاهلية : سلاسل من الدلالات تذهب في كل وجهة ولا تنتهي . لغة المسعدي لغة « جمع » لا تقول شيئا الا أوحى بأشياء فورا الصمت الظاهر كالضجة تداخله فتكثف الابلاغ . وبلاغة أسلوبه في تصريف الأسماء ، وأسماء العناصر الارعة بالخصوص ، شبكات من الرموز متداخلة كالشرايين تتفاعل خلالها المعاني فتتناسل وتتكاثر بلا حد .

أبو هريرة من أقوى نصوص أدبنا المعاصر ، كتابة متجذرة في صميم التراث تختبر في جرأة عجيبة طاقة أشكاله وأساليبه على أدا روح العصر ، نموذج من الانشاء الفني المبكر ورهان كبير على الثقافة العربية وقدرتها على الخلق الاصيل .

توفيق بكار *

ديسمبر 1978

* من وجوه الحياة الثقافية في تونس . استاذ جامعي يدرس الادب العربي المعاصر في كلية الآداب والعلوم الانسانية . معروف ببحثه في النقد الحديث ودراساته

الفاتحة

طلبتُ المُستَقَرَّ بكلِّ أرضٍ فلمْ أَر لي بَارِضٍ مُستَقَرًّا
(أبو العتاهية)

حدیث البعث الأول

« ستعلم يوم تُبْعَث من بين الاموات »
(إِسْهَان)

حدث أبو هريرة قال :

جاءني صديق لي يوما فقال : أُحِبُّ أَنْ
أَصْرِفَكَ عَنْ الدُّنْيَا عَامَةً يَوْمَ مِنْ أَيَّامِكَ ، فَهَلْ
لَكَ فِي ذَلِكَ ؟ فَقُلْتُ : إِنْ وَجَّهَ الْإِنْصِرَافُ عَنِ الدُّنْيَا
كَثِيرَةً : وَاحِبٌ أَنْ تُعَرِّفَنِي أَيُّهَا الْخَيْرُ لِي . فَقَالَ : اخْتَفِهَا وَقَعَا
عَلَى النَّفْسِ وَالذَّهْنِ مَسَاغَا . قُلْتُ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يَكُونَ انْصِرَافًا لَيْسَ بَعْدَهُ عَوْدٌ ، وَلَسْتُ مِنْهُمْ
لِلرَّحِيلِ . أَفَلَا سَبِيلٌ إِلَى الْإِفْصَاحِ ؟ قَالَ : لَا . وَضَرَبَ
بِكَفِّهِ عَلَى كَتِفِي . قُلْتُ : أَذَنْ يَكُونُ ذَلِكَ مَتَى ؟
قَالَ : غَدًا .



فلما كان من الغد سبق الفجر اليّ . وكنت
لا أعهد مبكرا . فاستغرت في تلك الساعة . وقلت :
هممتُ ان أقسم أنك لم تبكر كيومك قط . ما الذي
عجل بك ؟ قال : ننصرف لساعتنا . قلت : مهلا
يا عافاك الله . فاني لم اتوضأ وقد تبين الخيط الابيض
من الخيط الاسود . نتوضأ فنصلي ثم ننصرف . فقال :
لو فعلنا لفاتنا خير كثير . دع الصلاة اليوم فאלله غافرها
لك ، ولنذهب فليس منه بد . فلم أجد الا القيام
معه . فقممت وانا استغفر الله واصلى من ثيابي .
فذهب بي إلى بيته ، وكانت بفنائنه نجيبتان مُرحلتان ،
فقال : اركب هاته . ففعلت وركب الاخرى .

ثم خرجنا من مكة وانصرفنا عن طريق القوافل ،
وسرنا سيرا حثيثا حتى اصبنا الرمال وجعلت النجيبتان
تغرسان وتقلعان فإذا خطاهما لينة عذبة كأنها مس

خفيف : ونحن نُصوب ونُصعد من كتيب إلى كتيب .
وكنا في غير اذ قال : الآن نترجل . فقلت :
والله ذاك ما كنت أريد : فقد أخذ مني الرمل ولونه
ولطفه . ثم ترجلنا وأنحنا راحلتينا وعقلناهما وجلسنا على
الرمل . فجعلت أضرب برجلي واقلب يدي فيه فاجد
منه كمس لطيف النهود ، وكانت قد نامت فيه
برودة الليل فهو كاليقين بعد الحيرة . وصاحبني مستلقي
مُصيح كأنه يتوقع سمعا .

ومضت ساعة . ثم اذا هو يومئ بيده أن اصعد
في الكتيب . فصعدت فرأيت على رأس الكتيب
المقابل من وجه الشرق شبحين . وكان عاليا فكأنهما
على صفحة السماء المبيضة . وقال لي صديقي : انظر
ولا تنكلم . وتبينت الشبحين فتبين لي فتاة وفتى ،
في زي آدم وحواء ، ممدودان جنباً إلى جنب متجهان
إلى مطلع الشمس ، وكانت على وشك البزوغ فالشرق
كلهيب النار .

ثم بدت من الشمس بواحد نير . فإذا الفتاة ارتمت
وقامت كأنها الظبية احسّت بالنبل . وجعلت تهم
بالشرق فلا تخطو الا خطوة ، ثم تتراجع وترسل
يديها إلى السماء والشمس ، كأنها تروم ان تدركهما ،
ثم تتراجع بهما في هيئة من الرقص كأنها الغصن
يهزه النسيم . وسكنت طرفة عين . ثم عادت في
الرقص إلى مثل حركاتها الاولى . فرأيتها لساناً من
الرمال قائمة على رأس الكتيب ، وكأنها ولدت منه أو
ذابت فيه . فهي رقيق الرمل يجري بين الاصابع .
وأرسلت إلى ذلك صوتها بالغناء . فكان يترقق في
حلقها ، ويرق لرنين يديها ويديها وكامل جسدها ،
ثم يتراجع بتراجعها حتى إخاله سكن . ثم تعود
فترقص وتغني :

سلام على الروح
سلام على النور
يسري على يسر
سلام على الفجر

حتى كأن صوتها ورقصتها في الاندفاع والتراجع
ابتسامه السرور أول نشأته . ثم سكنت وبدأها إلى
الشمس البازغة واحدى رجلها مرسله كالرمح المصوب
في الهواء ، كأنها تهم ان تطير ، فكأنني بها قد
انفصلت عن الارض وطارت . ثم انفجر صوت
مزمير في قوة وروعة . وارتدت الجارية ترقص في سرعة
وشدة . وإذا المزمير الفتي ، وقد قام فبدا على وجه
السماء المشتعل كالصنم الحي . وجعلت الفتاة تدور أو
تقف ، وتقوم أو تهبط ، فتقع في هيئة الساجد فإذا
هي قائمة ، أو ترتفع فإذا هي ساجدة . فكأنها دخان
كاذب أو سراب خلب أو خفة ولا جسد . ثم انقضت
من صوت المزمير قوته . فارتدت رقيقاً حتى كأنه وحي
من الله أو همس الشياطين . وسكنت عن الجارية سرعة
الرقص ، فصارت تتثنى بتثنى الصوت وتتهادى
لتهاديه وتبطن الدور لبطنه ، حتى رأيتها أصبحت
ذوباً في الهواء أو سکنها نفس من النسيم فهي في ليله .

ودام ذلك ساعة ، فرحْتُ له أَرْبَعِيَّةً عَذْبَةً ،
وصرفني عن صديقي وهزَّني الطربُ . حتى كدُتُ
أَخُذُ في الرقص من حيث لا أَسْعُر . ثم دَقَّ الصوتُ
حتى سَكَن . وإذا الفتي قد وثب إلى الجارية ورفعها
من خصرها فبدَّتْ على يديه ممتدَّةً في الهواء وبداها
مقرونتان في هيئة المقبل على البحر أن يغوص فيه ،
والشمس ناشئة تكسوها . ثم حطها الفتي إلى الأرض
فتعانقا وصوَّبا في الكتيب يرقصان معاً ، حتى
حجبهما عنا .

• •

ثم التفتُ إلى صديقي فإذا هو يبكي احراً بكاء .
فقلت : والله انك لغريب الاطوار : أتبكي وما في
الامر غيرُ الفرح ؟ فقال : اتعلم يا أبا هريرة ما
قَصَّتْهُمَا ؟ قلت : لا والله وان بي لشغفا إلى ذلك .
فقال :

ضلت لي مرَّةً نجيَّةً كانت أحبَّ ايلي واحسنها
عندي . وافتقدتها فذهبت أقصُّ اثرها ، وكانت
الساعة الضحى ، فإذا هي قد قطعتُ مسافاتٍ حتى
وقعتُ على ماء هو وراء هاته الكتيان . فأتيتُ فأريتُ
تينا وعنبا وخيرا كثيرا . وجلتُ فيه فلم أجِدْ به حياً .
وذهبتُ اتبيَّن اثر الناقة حتى وصلتُ عريشا من سعف
النخل ، يجري بقربه ماء وفي الماء تين وعنب . ثم
إذا أثر انسان أو اثنين . فبينما أنا استغرب ذلك وافكر
في من يكون على هذا الماء وليس له بيت ، اذ سمعت
غناء . فصرفتُ وجهي اليه ، فعنَّا لي مُنحدرين من
كتيب ، وهما يرقصان ولعبان ويغنيان . فلما قربا مِنِّي
وجدتُهُما عارين ، وكدتُ اراهما من الشياطين . ثم
سبقتُ الجارية صاحبها اليَّ . فاقبلتُ عليَّ في خفة
الهواء ، فاخذتُ بيدي فانزلتني عن راحتي وهي
لا تنفكُ تغني . وكانت والله من حسن الصورة واشراق
البشرة فيما لم أر مثله قط . ثم ارادتني وقالت : كُنْ

زهرةً وغنٍّ . فلم اتمالك والله عن الضحك وقلت :
مالك ؟ أجننت ؟ دعيني . وتراجعتُ تخلصاً منها .
فتركنتني ، وطفقتُ ترقص وتغني وبغني الفتى وأنا أنظر ،
حتى دخلني من ذلك طرب شديد . وادركت أنه سلامٌ
وترحيب ، فاستأنست وقلت : والله لا أنصرف أو
أعرف قصتهما . وذهب عني أمرُ الناقة . فبقيت
حتى سكنا .

ثم جلسا واجلساني ، وجعلنا لحماً مشويا وتمرا
وعنبا وتينا بين يدي . وقالوا : كُلْ هنيا فهي سرورٌ كلها .
ثم تحدثنا : فإذا هما على أدب كثير ، يرويان من
الشعر ويقولانه ويقصان من ايامنا ويصنعان على البديهة
من الاصوات ما لم أسمع والله أمتع منه . فسألتهما في
انقطاعهما عن الناس ، فقالت الجارية : دُعِيَ الناسُ
فلم يأتوا ودُعِينَا فجئنا . فاقبلتُ على الفتى كالمستفسر .
فقال : نعم . دعوة الدنيا ، دعوة الكون . ترى هذه

الاشجار وهذا الماء وهذا النور وهذا الفضاء وهذا
الخلأ ؟

ثم قاما عني . ولم يسكنَ بهما الرقص ولا الغناء ولا
الجدلُ وأنا اتمتع بالنظر اليهما ، حتى مضتُ لنا في
ذلك ساعة . ثم ذكرتُ شأني ، فانصرفتُ وصوتاهما
يشيعاني بما لن أنساه أبدا من بديع الغناء . وقد
اكلا ناقتي وآكلاني منها فما كان فقدانُ أطيبَ
من فقدانها .

وقد ذكرتُهما بعد ذلك كثيرا ، وعدتُ لاستماعهما
والنظر اليهما خلسة أياما ، حتى نشأ لي منه في النفس
كالشوق إلى الجنة وكرهت حياتي بين الاموات .

وسكت صديقي ، فإذا هو قد عاد اليه البكاء
وكان سكن عنه . ثم قمنا وعدنا إلى مكة .

وبقيت عامة يومي مصروف البال إلى أمر الجارية
وفتاها وشأن صديقي فيهما . فلما كان من الغد
جمعتُ عزمي وأعرضتُ عن الدعوة وعدتُ إلى
الصلاة ففَضَّيْتُهَا واستغفرتُ الله . وكان آخر عهدي
بصديقي . فقد سألت عنه بعد أيام فإذا هو قد أخذ
جاريةً جميلةً وترك أهله وذهب إلى حيث لا يعلم
أحد . . .

فذهب ذلك بما تصنَّعتُ من العزم ، وكان
البعث .

حديث المنع والمجد

حدث رجل من الانمار قال :

كانت ريحانة من سبايانا . سباها في بعض
غزواتنا بالحيرة رجل منا يقال له لبيد ، وهي لا
تزال صغيرة مُرسلة الشعر . فنشأت فينا . وكانت حسناء
غريبة الحُسن ، كأنَّ في عينيها نارا وفيها ماء حميما .
فارادها لبيد في يوم من أيام الربيع ، وقد تَبَرَّجتْ
كُعباً ، فدَلَّتْ ولاعبته ثمَّ امتنعت وقالت : ظلماً
على ماء مرقوب خيرٌ من ارتواء . ولم تزل به حتى كاد
يُجَنِّ . ثمَّ اقبلت على شبان الحي ، وكنتُ منهم ،
غفر الله لنا جميعا . فكانت تعاشر الواحد منا ، ثمَّ

تهجره إلى غيره . وكانت في ذلك تُلقِي لنا فنبسط
 الأيدي ، فتمسك عنا وتولَّى . حتى تهيجنا كغبار في
 يوم اعصار . وهو في هيامه بها لا يرى من ذلك شيئاً .
 وانكرت نساء الحي فعلها . فحش ليبيدا ، وهو يومئذ
 لا يزال على عقله ، فقلن له : إنا خشينا ان يكون من
 ريحانة فتنة . أفلا تمسكها عن فتياننا ورجالنا ؟ فغضب
 لبيد وقام يريدها بعصاه . فقالت ودلت واخذته من
 يده : لو أعتقتني لكنت لك . ولكنك مولاي ،
 فليس لك من نفسي . فظنَّها لانت ومالت . فاعتقها .
 فامست ولم تصبح . فجئن لبيد . فهو إلى اليوم في أهله
 بوادي حران ، يخرج كل يوم إلى سمره هناك ؛
 فيجلس ويقول في ريحانة من الشعر ما لا يُفهم ولا
 يُحفظ . ثم يضرب على الأرض بعصاه ثلاثاً ثم يأخذ
 غصناً من السمره فيجعله في فيه ، ثم يقوم فيسعى بين
 السمره وبيته سعي الحجيج بين الصفا والمروة ، حتى

ينفضخ كاللدو ويسقط لوجهه . ويحتمله أهله إلى بيته
 فينام .

وكانت ريحانة تحدثنا فتقول : انا آخرة قومي .
 وقد اكلتهم النار جميعا . كانوا من ولد البراء بن
 كيسان . وسكنوا العمان ثم خرجوا عنها بعد أن
 اصابته بيوتهم نار ذهبت بأكثرهم . فجاء من بقي
 الحيرة ونزلوا بها فاقاموا . - فانهم بها اذ غزونا قبلهم -
 فاوقدنا نارا فأصابتهم فأتوا بها جميعا . وأدركها لبيد
 فوقها النار وملكها . وكانت تحدث انه كان لقومها
 عن أساف ونائلة غير الخبر المعروف لا يُشركون فيه
 احدا . وتقول : ولم يبق اليوم من يعرفه غيري . فهو هنا
 مكنون إلى يوم أموت . وتجعل يدها على صدرها فكأنني
 بنهديتها قد قاما واضطربا كرمال الكتيبان نشأة الريح .

ولما حال الحولُ على جنون ليبد حججتُ إلى
الكعبة . فلما انتهيت من مناسك الحج كرهت ان
يكون حجا بلا زيارة . فاني لمنطلق من مكة اذ رأيت
على طريق المدينة بيتا منفصلا عن البيوت ، والناس
يسن داخل وخارج . ولم أكن رأيت قبل ، فجنته ،
فاذا حانوت وعريدة وغناء ونبذ وخن . فانكرتها وانا
على حالي تلك من العبادة . وبيننا أنا واقف راحلتي
هناك ، اذ مرَّ بي رجلان منصرفان من الحانوت وهما
في نبيذ كثير . فقال أحدهما لسانه كالقصبة في
الريح :

قفا نشك من ريحانة العين والحشى .

وقد ذهب عني شطر البيت . فقلت : لا أبرح البلد
أو أعلم جليّة الامر . فعقلت راحلتي ودخلت . فاذا
هي والله ريحانتنا تغني وتلقي إلى الناس فيسقطون لها
الايدي فتمسك وتعرض ، كما كانت تفعل بنا .

فخرجتُ لساعتي وانطلقت لشأني . وكان آخر عهدي
بها في شبابها وشبابي .

ثم طواني الدهر وذهب اترابي في الحيّ ممن
يعرفون ريحانة جميعا . وإنا انتجعنا قبل نجد .
فترلت بنا امرأة فاضافها بعض الحي . فسألت عنها .
فقالوا : انها تقول ان اسمها ريحانة . فأمرت ان تأتيني
فجاءت . فكانت هي والله . وكانت من حيّ إلى حيّ ،
لا تسكن عن الترحال . تحدث عن ابي هريرة ولا
تبكي ، وتقول : لقد جمدت عيني . وهي يومئذ قد
ضرب الشيب في شعرها ، وذهب حسنُها الا نورا منه
في العين ، واصابت وجهها الاخاديد . وكانت لا تزال
كعهدي ظريفة لسنة طيبة الحديث . ولكنها اصبح بها
كالبج ، تقول فكانما تبكي ، وليس على وجهها الا
نفس مسلمة راضية .

وكانت لا تتحدث عن أبي هريرة إلا كان آخر
قولها : رحم الله أبا هريرة .

حديث التعافى في الخمر

« رَدَّا عَلَيَّ الْكَأْسَ الْكَمَا
لَا تَلْبِثَانِ الْكَأْسَ مَا تَجِدِي »
(أبو نواس)

حدثت ربحانة قالت :

كُنتُ فِي مَكَّةَ . فَذَهَبْتُ لِي بِهَا شَهْرٌ فِي
حَانُوتٍ . ثُمَّ كَرِهْتُ الْخَمْرَ وَعَرِدْتَهُ وَالْغِنَاءَ وَمَا
كُنتُ أَصْنَعُ مِنْهُ ، وَالْكَعْبَةُ عَلَى كَتِفِ تَغْيِيرٍ وَتُصَلِّي . فَفَقِرْتُ
أَيَّامًا ، وَصَاحِبُ الْحَانُوتِ غَاضِبٌ عَلَيَّ ، وَأَصْحَابُ اللَّيْلِ
وَالْخَمْرِ إِذَا جَنَّ يَسْأَلُونَهُ عَنِّي . فَلَمَّا كُنتُ فِي بَعْضِ
لَيَالِي هَذِهِ أَرَقُّ فَلَمْ أَصْبِرْ عَلَيْهِ . فَانْسَلَلْتُ فَخَرَجْتُ
أُرِيدُ الْمَدِينَةَ . وَكَانَتْ السَّاعَةُ الْغُلَسُ . فَسَرْتُ رَاجِلَةً
حَتَّى ذَهَبَ بَعْضُ يَوْمِي ، وَادْرَكْتَنِي الْمَاجِرَةُ وَعَقَلَانِي
النَّصَبُ . فَحَامَتُ عَيْنِي . فَلَا حَ لِي وَرَاءَ جَبَلٍ دَخَانُ كَلَا



الزَّيْمُ النَّبَاتِيُّ

دخان . فجهدتُ وقصدتُ اليه . فإذا حيُّ الانمار الا
اهلَ ليبد . فترلتُ بهم فأكرموني على انقباضِ فيهم .
وجاؤوني بطعام طيب فأكلتُ وماء كالبرد فشربتُ .
ثم اضطجعتُ فَنمتُ نوما طويلا .

فلما استيقظتُ كان الليل قد اسود . ونظرتُ فاذا
القوم في شأن لهم وقد ملكهم . فصحتُ بامرأة رجل
منهم كان يسمى سعدا ، وكانت مقبلة على قنبر وقد
ادخلت يدها تخرج منها الطعام ، فقالت : نزل بنا
الليلة ابو هريرة ، ونحُبُ ان نكرمه . قومي يا هاته
فسيكون منه كالمأدبة . فقميتُ فرأيت رجال الحي وقد
اجتمعوا الى رجل لم اكن اعرفه ، وهو يحدثهم
ويضحك ضحكا كثيرا . فرأيتُه سكران وكان كذلك

ثم تهيأ الطعام ، فصُفِّف على بساط . وجُعِل عند
سمرة هناك . وجلس الرجال فتأخر عنهم الرجل ،
وقصد إلى راحلته فأخرج زقا من الخمر وجاء به القوم .

فقالوا جميعا : آخفيتُها ضنا ؟ قال : بل خوف ان
تتوقعوا فتذهب المتعة . وجلسوا جميعا يأكلون ويشربون
حتى ذهب لهم ساعةٌ ونيران الحي تخبر واصواتهم
تعلو . وأهمني ان يكونوا في لهُو وابقى في قطعة من
الليل . فقميتُ كالوالهة فسعيت ، فوقعتُ على الزق
فصبيت وشربت اقداحا . وصاح بي بعضهم : حسب
الانمار ليبد . وقام يريدني وقد اخذ منه الخمر . فقام
له ابو هريرة ومنعني عنه وقال : دعوا الجارية تشرب .
ثم دنا مني ولان وقال : ما اسمك يا هاته ؟ قلت :
ريحانة . قال : انه ليس فينا الا حفيُّ بك محبٌ لك .
فنحن نشرب ونحِبُ من يشرب . ألك في قدح
آخر ؟ واخذ الزق مني كانما يريد ذلك . فإذا هو
قد رفعه وصبّه على راسي . فصحت وارتعت وقال :
انظروا ريحانة الخمر . فانطلق اصحابه يضحكون
مني . وهمت ان الطم وجهه لطمه تذهب بخمره . فما
كدتُ أهم به حتى اخذني واحتملني وانا اضطرب ،

فجعلني تحت سَمُرَةٍ إِلَى الْأَرْضِ وَانصَبَ عَلَيَّ .
فوجدته صاحيا من اشدَّ الرجال . ثُمَّ شَدَّنِي إِلَيْهِ حَتَّى
صِرْتُ مِنْهُ . وَقَامَ عَنَّا الرِّجَالُ . فَجَعَلَ يَرْقُ وَيُحَدِّثُنِي
وَيَقُولُ : مَا كَانَ أَحْسَنَ انصِبَابِكَ عَلَى الرِّقِّ . إِلَى إِنْ
طَابَ لِي رِيحُ الْخَمْرِ فِي ثِيَابِي .

فلما أصبحنا أُرِدْفُنِي إِلَى مَكَّةَ . فَلَزِمْتُهُ ثَلَاثًا ثُمَّ
رَجَعْتُ إِلَى الْحَانُوتِ وَقَدْ طَابَ مَقَامِي . رَحِمَ اللَّهُ
أَبَا هُرَيْرَةَ .

حديث القيامة

«متى كانت الحركة بشوق طيبي لم تسكن البتة»
(أبو حيان التوحيدي)

حدث أبو المداثر - وكان من خاصة أبي هريرة -
قال :

وقف عليّ أبو هريرة يوماً فقال : ما كسبتَ في
يومك ؟ وكان لا يلقاني الا قال لي ذلك فأكرمهم
منه . فقلت . الا تستحي ؟ الا تجد في قولك ؟ لم أكسب
شيئاً . قال : لي عليك اذن ان ترحب بي ؛ فقد
جئتُك مبتاعاً . كم عندك من الشمع ؟ قلت : لا يزيد
على الستين . قال : هي لي كلها . فقم وأحضرتها .
فأخذها من يدي وقال : اما الثمن فهو لك عليّ قضاء ،
كصلاتي منذ سنين . فقلت : يا رحمك الله . أو

جَسَنِي مَتَّهَبَا أُم مَبْتَا ؟ قَالَ : سَتَغْفِرُ اللَّهُ . بَلِ مَبْتَا
عَلَى سَنَةِ اللَّهِ . ثُمَّ انصَرَفَ وَتَرَكَنِي فِي حُمَّةٍ مِنْ
الْغَضَبِ ، وَكُنْتُ لَمْ أَبْعَ شَيْئاً يُعَدُّ فِي يَوْمِي . فَلَمَّا كَانَ
الْمَغْرَبُ جَعَلْتُ أَنْهِيًّا لِلانصرافِ . وَإِنِّي لَمَقْبَلٌ عَلَى
الْبَابِ أَغْلَقَهُ إِذَا هُوَ مَقْبَلٌ إِلَيَّ . فَقُلْتُ : لَقَدْ حَلَّ أَجَلُ
الدُّنْيَا . فَضَحِكُ وَقَالَ : لِقَضَائِهِ أَتَيْتَ . مَوْعِدُكَ
العشاءَ بِضَيْعَتِي . ثُمَّ تَجَاوَزَنِي فِي إِسْرَاعِ الْمَهْمُومِ
الْمِلْمَةِ اشْغَالَهُ . فَقُلْتُ : لَا يَنْتَهِي وَاللَّهِ . ثُمَّ لَوَيْتُ .

° °

وَجَاءَ الْعِشَاءُ فَرَكِبْتُ فَرَساً لِي يُخَيِّنَ السَّيْرَ عَلَى
ظِلَامِ اللَّيْلِ . وَخَرَجْتُ إِلَى ضَيْعَةِ أَبِي هَرِيرَةَ . وَكَانَتْ
بَنَجْدٌ لَا تَصْلُحُ لِزَرْعٍ وَلَا لَغَيْرِهِ ، وَفِيهَا عِضَاهُ كَثِيرَةٌ
مَبْثُوثَةٌ . فَلَمَّا قَارَبْتُهَا الْقَيْتُ الْبَصَرَ فَلَمْ أَرْ نُورًا فَظَنَنْتُهُ
أَرَادَ بِي عِبْثًا وَمَزَاحًا ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَلْوِي الْفَرَسَ ، فَإِذَا
هَاتِفٌ يَهْتَفُ بِي . فَقَصَدْتُ إِلَيْهِ حَتَّى وَصَلْتَهُ .

وَتَوَضَّحْتُ الْمَكَانَ فَإِذَا اشْبَاحُ نَفَرٍ جُلُوسٍ وَشَيْءٌ كَالْهَلَاوِيَّةِ
عَلَيْهِ صَخِيرٌ مَشْرِفَةٌ . وَكَانَ كَهْفًا . وَتَكَلَّمْتُ أَبُو هَرِيرَةَ
فَقَالَ : تَرَجُلْ . فَفَعَلْتُ وَأَخَذَ فَرَسِي شَبَحٌ وَدَخَلَ بِهِ
الَلَّيْلَ . وَقُلْتُ : لَنْ تَنْتَهِيَ وَاللَّهِ . مَا هَذَا ؟ قَالَ : أَنْصَبْتُ
فَسَتَعْلَمُ الْأَمْرَ مَا فِيهِ . قُلْتُ : وَمَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ :
جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَخْوَانِ يَسْأَلُونَ الظَّلَامَ . وَهَاتِهِ رِيحَانَةٌ .
وَإِذَا بِجَانِبِهِ امْرَأَةٌ مُضْطَجِعَةٌ عَلَى صَخْرَةٍ ، مَطْرُقَةٌ كَانَهَا
تَصَلِّيَ وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ كَالْغَصْنِ بِأَصْلِهِ . فَلَمْ أَرُ إِلَّا
الصَّبْرَ .

° °

وَمَضَتْ سَاعَةٌ لَمْ نَقْلُ فِيهَا شَيْئاً . ثُمَّ تَكَلَّمْتُ
رِيحَانَةً فَقَالَتْ : يَثْقُلُ الْكُونُ إِذَا هُمْ أَنْ يَكُونُ . وَتَكَلَّمْتُ
آخَرَ فَقَالَ : وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَبِيلُ خَلْقِهِ ثَقِيلًا مُرْهَقًا لَمَّا خَلِقَ .
فَقَالَ أَبُو هَرِيرَةَ : لَقَدْ كَانَ حِينْتُذْ كَالَالْحَانِ قَبْلَ
الضَّرْبِ . وَلَيْسَ أَبْدَعُ مِنَ الْأَوْتَارِ تُجَسَّسَ . ثُمَّ سَكَنُوا

وحدثتُ نفسي اني وقعت في مصابين او سكارى .
ومضت ساعة لم يعودوا فيها الى الكلام : وطال علي
حتى كاد يذهب صبري . وبيننا أنا كذلك اذ هتف
مزمار همساً رقيقاً نائياً كأنه الذكرى تتجمع في اعماق
النفس . ثم تعالى فاذا له صلصلة وزفير وانفلاق ودوي .
وفيه إلى ذلك تنثُن كأن الريح تحطه وتعليه . ثم جنَّ
واشتدَّ وقامت اليه مزاهاً ودفوفٌ وصوتٌ مغنية .
فراحت جميعاً في الظلام كالبرق . وكانت المغنية
ريحانة . غنت :

أَسَافُ وَنَائِلَةٌ أَوْقَدَا جَدَّوَاتِي
أَسَافُ وَنَائِلَةٌ وَأَنْفِيَا عِبْرَاتِي

وسكنتُ . فشدَّ عليها المزمار والمزاهر واجتمعت إلى
ذلك اصواتُ نساءٍ كثيرة قامت من ارجاء الضيعة
فرددن غناها . ثم عادت ريحانة تغني وتشدَّ عليها
المعازف والمغنيات :

ان نفسي لحميمٌ رَفَرَفَ اللحمُ عليه
ودعاهَا بِأَسَقِيمُ ملك العجزُ يديه

أَسَافُ وَنَائِلَةٌ
أَوْقَدَا جَدَّوَاتِي
أَسَافُ وَنَائِلَةٌ
وَأَنْفِيَا عِبْرَاتِي

هذه الدنيا إناثٌ كلها تدعو الذكور
يُسَمِّعُ منها لهاثٌ بدؤه بدء الدهور
أَسَافُ وَنَائِلَةٌ...

كم اردنا الروحَ قَيْضًا جارفاً صخرَ السدود
واثرنا النفسَ غَيْضًا داوياً مثل الرعود
أَسَافُ وَنَائِلَةٌ...

وأكلنا الروحَ حَيًّا وانفجرنا للهوى
ثم خفنا منه مَيًّا فجعلناها هواً

أساف وناثلة...

انما الجبن بلايا وسقام في سقام
ما لماثي في الهوايا ذاهب مثل هيامي
غار فعلي في النوايا كجبال في ظلام
حتى استوفت شعرها ثم سكن جميعا .

• •

ثم لم تلبث ان اشتعلت خمسون او ستون مشعلا
على مسافة في صف واحد قبلنا . وكانت من
الشموع التي اخذها مني ابو هريرة . ثم تقدم منهم
ما ينيف على العشرين . فاذا عليها وجوه صفراء
مختلجة كانها الموت وعليها كوضح الابتسام . ثم وقفن
فخرجت من بينهن اثنتان وتقدمتا الى شيء فاوقدناه ،
وكان حطبا مهيبا . وجعلتا تطوفان به كطوافنا بالكعبة .
فلما زفر واحمر اندفعنا ترقصان كأنما اخذهما دق
دافق . وكانتا ترقصان كالسنة النار فهما خارجتان منها

عائدتان اليها اشد حُمرة منها . وكنت انظر إلى
نهودهما فلا النهدي يقر لي ولا اليد تنفصل عن النار .
فأرى النار ذكرًا به لوعة الصادي . وصاحت ربحانة
فالتفت فاذا هي تتململ كمن اصابته حمى ، فيشدّها
ابو هريرة شداً ويقول : أطفيئها والا أطفأتك . ويقبلان
على الجاريتين الراقصتين حتى اراهما جاحظتين .

ثم اسمع الاصوات وقد قامت ثانية بأساف
وناثله ، ذكيا جذواتي . واتقدت النيران على قوس
فعددتها سائر الخمسين او الستين . وتطايير الجواري
كالشعل من ورائها وطففن جميعا يرقصن والغناء
معهن كانه دماء تسيل . ثم انصرف اليهن من الظلام
فتيان . فاقتفوهن وحاموا عليهن حتى رايتهم كالسافيات
تنفضهن الرياح . وعادوا رقصهم عارض جنونه وهم
ازواج . فكانما ذهب رعداتهم بارواحهم وفقدوا
الوصل ، ففرقت من اجسادهم اعضاؤها ومضت
سبيلها سكرى ، وكانت قبل جماعة ذات الفة ،

فَتَفَرَّدَتْ وَانْقَضَى الْعِدْدُ وَنَفَرَ الْعَضْوُ إِخَاهُ ، فَكَأَنَّهُ
يَطْلُبُ ذَاتَهُ أَنْ يَفْنَى بِهَا . ثُمَّ ادْرَكَ الْفَتْيَانُ الْجَوَارِيَّ
فَانْقَضَى عَنْهُمْ عَزِيفُ الْحَوْمِ ، وَكَانَتْ الْأَصْوَاتُ عِنْدَ
الرَّدَّةِ : فَلَانُوا حَتَّى كَأَنَّ الْمَاءَ يَجْرِي .

وَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ خَيَّلَتْ السَّمَاءُ وَهَبَ نَفْسُ
مِنَ الرِّيحِ شَدِيدٌ سَجَدَتْ لَهُ النَّيْرَانُ وَكَادَتْ تَطِيرُ
الْجَوَارِي . ثُمَّ هَزَمَ الرِّعْدُ هَزِيمًا رَائِعًا ، وَعَصَفَتِ
الرِّيحُ فَانْسَابَتْ أَلْسِنَةُ النَّيْرَانِ عَلَى الْأَرْضِ ، فَادْرَكَتْ
بَعْضُ الْعُضَاةِ فَانْتَقَدَتْ فَانْتَشَرَتْ فِي جَمِيعِهَا فَصَاحَ
الْجَوَارِي وَالْفَتْيَانُ جَمِيعًا . وَصَاحَتْ رِيحَانَةٌ وَقَامَتْ
قِيَامَ النَّائِمَةِ لَدِغَتْ وَانْحَدَرَتْ إِلَى النَّارِ . فَوَثَبَ إِلَيْهَا
أَبُو هَرِيرَةَ فَادْرَكَهَا وَقَدْ جَاءَتْ نَارًا وَهَمَّتْ أَنْ تَلْقَاهَا .
فَحَضَنَهَا عَنْهَا وَقَالَ : لِأَعْلَمَنَّكَ الصَّبْرَ عَلَى النَّارِ . ثُمَّ
أَزَفَ بِهَا فَأَخَذَهَا الظَّلَامُ عَنْ عَيْنِي . فَاسْمَعُ وَقَعَ فَرْسُهُ
مِنْحَدِرًا كَالصَّخْرِ . وَاسْرَعْتُ إِلَى فَرْسِي وَأَنَا ذَاهِلٌ عَنْ
الْجَوَارِي وَصَحْبِي . فَرَكَبْتُهُ وَارْسَلْتُهُ ، وَبَيْنَ إِذْ نَبِي

زَفِيرٍ وَصَبَاحٍ وَصَهِيلِ خَيْلٍ فَرَعَةٍ ، وَالْوَهْجُ عَلَى ظَهْرِي .
فَمَا رُدُّ عَلَيَّ عَقْلِي إِلَّا بِفَنَاءِ بَيْتِي .
وَكَانَتْ لَيْلَةٌ شَدِيدَةٌ .

• •

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَصْبَحَ رَوْعِي غَضَبًا عَلَى أَبِي هَرِيرَةَ
وَخَوْفًا عَلَى الْجَوَارِي وَصَحْبِي . فَجِئْتُهُ . فَإِذَا بَيْتُهُ انْقَاضُ
سُودَاءٍ قَدْ أَكَلَتْ النَّارُ أَوْصَالَهُ وَالْقَتْلُ أَحْجَارَهُ كَالْعِظَامِ .
وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَقَايَا دُخَانٍ خَارِجَةً مِنْهُ بَيْضَاءَ فِي
الرِّيحِ الْبَارِدِ ، وَأَبُو هَرِيرَةَ وَقَفَ عَلَيْهِ وَقَفَّةً الْمَعْتَبِرِ .
فَاسْتَلْطَفْتُ لَهُ وَقُلْتُ : اللَّهُ أَكْبَرُ . أَوْ نَارُ هُنَا أَيْضًا ؟
تَاللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَنْعَقَبْ رَسِّي . وَفَاضَ حَزَنِي فَبَكَيْتُ . فَاقْبَلْ
عَلَيَّ وَقَالَ : دَعْ الْبُكَاءَ وَخُذْ فِيمَا أَقُولُ لَكَ . ثُمَّ أَخَذَنِي
إِلَى قِطْعَةٍ مِنْ جِدَارٍ طَرِيعٍ . فَاجْلَسَنِي وَجَلَسَ وَقَالَ
وَابْتَسَمَ : لَمْ أَرَكَا لِأَصْنَامِ ظَاهِرُهَا الرُّوحُ وَتَمَلِّكُ الْجَسَدُ .
فَارَدْتُ أَنْ أَثْنِيهِ عَمَّا أَخَذَ فِيهِ مِنْ مَبْهَمِ الْقَوْلِ فَقُلْتُ :

ماذا صنعت بعد الانصراف من الضيعة ؟ وأين
الجواري والفتيان وصحبنا وريحانة ؟ وما خبر البيت ؟
قال : ملكْتُ ريحانةً عن نفسها فاردفتها إلى مكة .
وانطلقت بها في الليل يحجب عنها جسدها . فما
كدت ابرح الضيعة حتى جاءت المُعْصِرَاتُ بالانواء .
وكان البرق يستطير فتنتطق السماء وركامها والاشجار
والجبال وتقوم عصا الطريق فترتمي جميعا على
وجهي ، وسيل الماء يكاد يجرفنا والفرس . وتهيج
الكون حتى كأنه جهنم الشياطين ولا نار . وكانت
ريحانة تقول : يا ابا هريرة ذهب ناري . وتبكي .
وكنْتُ لا اعي . فالمطرُ فالريحُ فالشدةُ فانا املاً
ما اكون .

وانتهينا إلى حانوتها فالقيتها . واتيت بيتي ،
فاطلقت الفرس بالفناء ودخلت على امرأتي . فإذا هي
لائذة بالسراج تطلب أنسه . فقالت : لقد بقيتُ
اتوقعك حتى ذهب التوقع بالامل . وها ليأتي جاءت .

قال ابو المدائن : وكان ابو هريرة لا يعاشر امرأته ،
وكانت تقول : احببته حتى جعلته نوراً في ظلامها
نفسي على ما فيه من الشرود . قال ابو هريرة : ثم
قامت تريد الفرس أن تُكَيِّه . فقلت : لا تفعل . فيفعله
بعض الغلمان . وهات حديثي . وقد اعجبني منها ان
ردت اليّ بعض ما احتملتها سنين . فلم تُبال وقامت
إلى ما تريد . فلما توسّطت الفناء انشق قلَقُ الصاعقة
فأخذتها . فرأيتها وقد اشتعلت كأنها ملكٌ من نور ،
وقفز الفرس رَوْعاً . ثم نظرتُ فإذا الامر ناقص ابتر .
ووددتُ لو احترقت السحب ، وانما كان البرق ينيرها .
فقممتُ إلى بيتي وأحرقته وجلست انظر إلى النار في
الماء والماء فيها . فرمادها الآن تحت الخراب وقد
اصبحت بين ما اردت لها اهلا من الملائكة والمخلدين .
ثم قال : رحمها الله . لقد اردتها على الجبال ومثل ما
شهدنا البارحة من الجهاد وان تمشي على دهرها
كالغلك تسير آمنة والهاوية . فقصرتُ عن ذلك . فلما

خفت عليها اوقعتها في روحها . وقال : وان مثل كل
جهاد لكمثل مصيرها . وينفضه البكاء .

فرقت له وبكىت وقمت به إلى بيتي . فامضى به
اياما . ثم انصرف فلم اره دهرًا . وسألت عنه فقالوا :
انه وريحانة . . .

مديّة الحسن

حدثت ربحانة قالت :

مرض ابو هريرة حتى اشفقتُ عليه . وكنت
لا أبرحه ساعةً وابكي وارجع لألمه حتى كأنني
منه . فيهمس : ابكي ما لذلك البكاء . ويومي أن ضُميني
إليك . فاضمه ضمًا خفيفًا ، فيلقي باذني كالحنين
ويقول : وجعت ان لست في مثل عاتي .

ثم ذهب عنه بعض مرضه فدخل إلى الابلال .
سالته : هل عاد لك من الصحة ما كان ذهب ؟ قال :
انه قد استوى عندي ان تذهب أو تبقى ، بل كدت
اختار العلة .

بمرض الناس يا ربحانة فيطلبون الشفاء ، فيثقل
 المرض فيضني فيه . سدى . وقد طلبت الشفاء
 مثلهم ساعة مرضي الاولى . ثم وجدت في علتي ما لم
 أجده في الصحة وتمت لي بها حياتي ، فخشيت ان
 تعاودني الصحة والاستقامة فاموت . كذا نحن . ولعله
 لا يبلغ العلة من الناس الا القليل . قلت : وهل في العلة
 غير الامحال وذهاب الماء يا حبيبي ؟ قال : لا أدري ؛
 فقد يكون . وقد تكون العلة من مُحَيَّات الحياة .
 بل انظري . - قالت : وكان في صوته كصدي غيب
 بعيد - اني أجد في جسدي وهو غليل كيف يرق حتى
 كانه عود كلما جسسته أن ، وكيف تدق الحاسة
 وتحتد . وقد ذهبت لي والله ساعات وانا اقفواثر الروح
 تنتقل من يدي إلى رأسي أو منه إلى صدري ، وتردد
 على الاعضاء والقلب والامعاء تردد الفجر ، فكاني
 أسبح في دمي يجري . ولدت عندي ، فيلذعني الألم
 في كتفي أو صدري أو رأسي فاننا آكل حنظلا لا

كحفظ الناس ، فيه مرارة وحموضة واللوان مختلفة ونار
 تضطرب وتحسن في العين . فكأن مقدار القوة
 والحياة يزداد للعلة ، وكأن قرب الفناء خلأق .

ترين ؟ الا تكون الدنيا من خلق الالهة عند الترع
 يا ربحانة ؟

ثم تنفس فمد نفسه . ثم قال :

وددت من زمن بعيد لوأني علقت بين السماء
 والارض ، أو اني جلست على قمة جبل وقد طلقته
 الارض فطار . فلم اصب ذلك الا في علتي تفك
 الجسد وتميز الاوصال فيخف اللحم والدم فكأنني في
 الخلد . انه لا تكون الحياة أبدع مما تكون بين العدم
 والكيان ، ولا أقرب من طمأنينة السعيد .

قالت ربحانة : ثم ابتسم وسكن . فنظرت فإذا
 دموعه كقطر الندى على خده وقال : ألمني ان يكون

نصف متاع الدنيا في حال لا يصيبها الانسان الا حيناً
بعد حين ، اذا سلم من كثافة الصحة . وضمته
الي وضمني اليه . رحم الله ابا هريرة .

حديث في الوضع

... لانه قد صبح ان شأن الحسن ان يورث
الملل والكلال ويحمل على الفجر والانتفاع ،
(أبو حيان التوحيدي)

روي عن أبي سعد ، قال : حدثت رجحانة قالت :

لما ذهبنا الى المدينة سكتنا بيتا منعزلا عن البيوت ،
نشرف منه فتلقنا مقبرة المدينة . وكان أبو هريرة
يقول : لا يطربني شيء مثل الزهرة على القبر ، ولم أجد
مثله الا عند بعض الناس ، تركب احزانهم مركب
الهزل . فاقمنا بذلك البيت شهورا . وكان أبو هريرة في
اولها يكثر من الانصراف ويدعني بالبيت ، فلا يرده
علي الا الغداء أو العشاء . وكنت كلما دخل البيت
وجد العنبر والمسك والعود قد نُشِرت فيه ، والوان الطعام



قد صُفِّتْ ودعت بالافواه ، وأطيبَ النبيذ والريحان
 قد نضُوعُ وفاح ، - فيضي انشراحا ويصرف سروره إليَّ
 ويقول : لقد عَلَّمَنِي الطعام ما لذته وما سكرته . فهل
 عَلَّمْتُكَ يا ربحانة الجوع ؟ فاقول : نعم . ولكنني
 مكتفية بك . ونجلس فأغنيه وبأكل ويسقيني . وكان
 كلما اتى طعاما أخذه خشوع غريب . وسمعته يقول يوما
 وشواء بين يديه يتقاطر : ما أعظم الشواء يستحيل إلى
 دمي . ثم تأمله طويلا وقال : هاته متع الدنيا . وكنا
 كثيرا ما نجلس للطعام بفناء البيت والشمس علينا .
 فيعبث بكاسه في النور ويقول : يا لهفي على خمري
 تغشاه ظلمات الاحشاء . وددت والله لو تبع البصر
 ضيائه فيها . ثم يشرب قدحه صباً فيغيب بصره
 وكأنما جرّه النبيذ إلى غيب احشائه . وكان اذا أراد
 الطعام تطهر له كتطهره للاحرام .

ثم قل انصرفه فلم يخرج الأبي . فكان ينطلق

بي إلى شباب بضواحي المدينة . فسير حتى يقعد بنا
 التعب فيحدثني وأحدثه . وقد اراني وأباهرية في
 بعض سيرنا بتلك الشباب فاسمعه بهازلني القول
 ويضحك وعليه سمة الفرح بالحياة .

قال الراوي : ثم سكت ربحانة وتبسمت
 وشخصت بعين عبري .

• •

قال : قالت :

وخرجنا يوما وقد أربعنا - وكان الهواء كدمعة عذراء
 والسماء لا رب فيها ، وعليه ثيابٌ وشي وفضة كأنها
 كواكب الصيف ، وعلي من الحرير شُفوفٌ تجري -
 فذهب بي إلى مرج مزهار . فاجلسني وجلس على الكلاء
 الریان . فاطرق ساعة فقال : أتعلمين يا ربحانة انه
 في بعض احيائي

تراكضُ لَدَى قلبي خيلُ كُرُوى السَّحر
يدوي عصفها الدَّيَا ويزو جيلَ الصَّخر
فيشدُّ على روحي جُمُوحٌ في دمي بجري
أمرٌ من ضنى الحُبِّ وأدهى من عنا الصبر

ثم لوى فاقبل على الاعشاب بضرب فيها يديه
وستاصل منها قبضة بعد قبضة ، ويقول : انظري
كيف أخذ العُشْبُ من يدي ، فهي كالداية الآكل .
والله كرهتُ طعامَ الانسان وحببتُ الميَّ الانعامُ في
مراعيها ترعى . فقلتُ : وهل من سبيل ؟ فقال : نعم .
ومررتُ يداه على وجهي وصدري حتى أخذتا خصري ،
وكدتُ أنقُدُ وقلت : الا تستحي . قال : بلى . ثم قام
فعدنا إلى البيت .

وكانت لنا أيام لن يسقط ذكرها عني .

ثم أغمَّ وحالَ كسماء خريف . وقال : اني أجد
كهمس المتناوحة العاصفة يا ريحانة ، مثل عقر
السحاب ، يُسمَع ولا يُرى . فجهدتُ ان اصرفه إلى
سابق فرحه بالحياة فقال :

مضى دهرٌ به كُنَّا وجدنا جدَّةَ العمر
وشاخ النورُ ريحانَ وقرت خلجة الفجر
فيتاب سنا عيني ظلامٌ كعمى الدهر

دعني الذكري ريحانة فقد قتلتها في نفسي ، وليس
اقبح مما يدوم . انظري مغرب شمسك اليوم فلن
ترى أبداً مثله . وقال : آيةُ جمالك ما لم تكوني ولن
تكوني . فرأيتُه سَمَّ مضجعي وقلت : آثراً بعد عين ؟
قال : كلا . ولكنكنَّ معشر النساء كالانبياء ، اضل
الضلال عندكن وحدانية المتوحد . وسكت ساعة
ثم قال :

وان لك يا ربحانة سابقات . فهل لك في قصة
 احبهن الي . قلت : هات خبرك . قال : لم تقبل علي
 من النساء الا جارية واحدة في شبابي . فقد كنت
 أطوف بالكعبة كل يوم ، وأقف على الحجر الاسود
 استغفره واستعظمه . فارى جارية تخرج إلى شأن لها
 من بيت هناك . تفعل ذلك كل يوم وتسترق النظر
 الي . حتى ملكت بصري واصبح الطواف والحجر
 الاسود سرايا في عيني . وتجرأت يوما ، فأومات اليها
 ن تلقاني عند الصفا ليلتنا تلك . فلما جاء الليل
 سبقتها اليها . فلما أحسست بها جعلت أترثم بشعر
 صنعتها فيها وأنا شديد الزهوبه فهو أول شعري . فلما
 وقفت علي سلمت فلم ترد . فحسبته خفرا وقلت :
 هذا من شأن العذارى . تبسطي يا حسناء . فأومات
 بشيء فدنوت وأزحت جلبابها وكنت لم أرها الا تحته .
 وتبينتها فإذا هي من أقبح عباد الله صورة وإلى ذلك
 صماء بكاء . فقلت : لقد ضاع شعري . وانصرفت

ولم أقل بعدها شعرا في امرأة قط . فاحذري يا ربحانة
 ان تكوني صماء لا تعي اونيا ذا جنة .

ثم أخذته نوبة من الغضب فصاح بي حتى ارتعت :
 أكلما تمرّد شيطان في انسان قامت له امرأة نيا ؟
 أوكلما قامت في قلب أعاصير جعلتها النساء خطوطا
 مستقيمة ؟ دعيني يا هاته فقد كذبت أن تقطعي عني
 سبيلي . ثم سكت فهذا . فقلت : لا تصطنع .
 فقال وأقبل علي ودمعه يرفض : انت الحكيمة يا
 ربحانة ، فهو اصطناع كله يريد أن يكون حقا ،
 وسيكونه . ثم جعل وجهه في تحري وقال : لو كان
 إلى النسيان سبيل لكان ربحك أنساني . لكن هيهات
 ومع اللحم والدم والحس يجري الهوى فيها جرافا ،
 علّة في الانسان يلقاها هنا أو هنا . وضرب على
 رأسه وقلبه .

قال ابو سعد : سألت ربحانة : ما أغرب ما سمعت من أبي هريرة حينئذ ؟ فقالت : لم يكن يُغرب وانما كان كلامه بعيد المدى . هذا حديث الابد : خلونا ليلة بالمقبرة - وكانت مجلساً اذا هدأ لي - فجلست اليه وعلينا قمر كالحرير ونسيم كالريبع ، وقد سقط عني كل جهد فانا كالصخرة الهاوية لا تنتهي . فقال : ما أحسنُ دنياك يا ربحانة ؟ قلت : ان تجتمع فيك ولا حصر . فامسك ساعة وامسكتُ واكلته فاكلني وافنيته وافناني . ثم قال : أو هذا الابد ؟ قلت : نعم . وبلا قدم . قال : هيهات . قلت . ولكننا دمرنا القدم تدميراً . قال : بل حسبنا أنفسنا ، ولو انتفى القدم لانتهى الموت . ثم زفر وقال : واقصى الابد الفجر يا ربحانة . ودموعه كرجع الموج عن الصخر . ثم سكت وقال : لا خير في مائدة تجري من تحتها الانهار وعليها الوان الفواكه البكر ، تُجعل لك وتؤذنين بالجلولان فيها ، ثم لا تؤجلين فيها الا ساعة

واحدة فلا تتوقين إلى لون منها . ثم قام فدخل البيت فجاء بخمر . فلم يزل يبي إلى أن وجدت من خمره ما أرفأ بي أرقص وأغني حتى ارتميت من ذرى الجبال كراقصات الاساطير .

• •

وعادت ربحانة إلى حديثها . قالت : وكنت اصبت من معاشرته ما صار لي به كل شيء وضاحاً ، وتبرجت لي به الدنيا تبرجاً أكثر النفس . حتى شرب المرد العدد ورأيتني نوراً مشاعاً . فكأنني البنيان ينفي أحجاره ورخامه . اجعل الدنيا بوعائي فلا تنفي واحب ان اقصر النفس فتأبى . فلما تغير أبو هريرة ورأيتنه يتجمع ، أصبح مستحيلاً علياً واختلفنا .

وجاءني يوماً فقال : اني راحل عنك . فقلت : وائي السبل اخترت لي ؟ فقال : العقبة يا ربحانة . قلت : وما الراحل بك ؟ قال : كره البيوت . - وقد

كان يدخل علي أحيانا فيقلب البصر في البيت ويقول :
لقد سكنتُ البيوتَ من يوم خُلِّيتُ ، فلم أَصِبْ منها
الا البابَ أعلمُ اني أدخلُ أو أخرجُ منه ، أو الجدارَ أعلمُ
أنه يرَدِّي لو طلبتُ الخروجَ منه ، أو السقفَ أخشى
أن يقعَ علينا . وإنَّ من الخير والشر والسعادة والشقاء
لكمثل بيت نسكنه ونحن نقول : انا وجدنا آباءنا
فيه - فقلت : وقد كنتُ بيتًا فكرهته . فقال : نعم .
ولو اكتشفني فاكشفيتُ بك اني اذن لجان . وقد
حدَرْتُكَ ان تكوني جَنَّتِي . فإن شئتَ يا ربحانة ان
ابقي فلتنفي والّا ارتويت . فادركت انه قد عاوده
الجؤس - وكان شديد الكره للتزول يرتاد ولا ينزل ،
ويقتله الطمعُ ويُخَيِّبه اليأسُ ويخاف أن يستقرَّ الجهد
وينقطع الشوق - فقلت : افعلْ ما ترى . فقال :
أخذ عصاي .

ثم خرج فإذا هو منطلق باخذ مخبئي المدينة .

وكان آخر عهده وعهدي .

وقد ذهب فنَّعَصَ عليَّ ما جاء بعده من الدنيا فلم
أجد بها طعاما بعده . وذهب الفجر بالابد .

لقد كان دائمَ التَّوَقُّ إلى الشمس دائمَ الخوف
من طلوعها . ويقول : ان استطعتَ فاجعلْ كاملَ
حياتك فجرا .

رحم الله أبا هريرة .

حدیثیے الوضع ارضاً

حدث أبو هريرة في آخر عهده بالدنيا ، قال :

لقد وضعتُ من الناس كثيراً وغلبتُ نفسي عن
كثير من متاع الآخرة والدنيا ، فلم يكن أشدَّ من
وضعي لريحانة. وضعتها كما تضع الحاملُ المُعسر ؛ ولو
بقيت معها يوماً بعده لطرحتها طرْحاً لا عناء فيه .



ثم قال : فانا منها إلى اليوم أعجزُ الناس عن
الحب .

حدیث عشق و الوجدہ

« المجذوب من بشيط من بين الناس صديقا »
(علويه)

حدث أبو المداين قال :

لم يكن أشد شوقاً إلى صديق لم يُخلق من أبي
هريرة . كنت أقول في بعض الايام : عم صباحا
يا أبا هريرة . فيلقاني بعينين كأنهما الغيبُ ويقول :
من أنت ؟ أو : ممن أنت ؟ وتمرُّ كالخيال .



حدیث الحق والباطل

حدث معن بن سليمان قال :

كنت أنا وأبو المدائن وأخي حرب نجتمع في
بيت أبي هريرة كل يوم جمعة عند الظهر. فتتغذى
ونتحدث ثم نخرج عنه فنذهب إلى المسجد فنصلي .



فدخلنا عليه مرة فوجدناه بفناء بيته وقد بسط فيه
فرشا خفيفا وجلس فاطرق وسجا . فسلمنا وقلنا وقد
أدرَكْنَا فيه همًّا باطنا : فيمَ هذا الوجوم ؟
وكنا نعلمه غريبَ الاطوار ينصرف إلى ما لا يخطر
ببال . قال : اني فقدتُ السماءَ وارتدَّ عليَّ الهواءُ

رصاصا ، ونظرت فكلَّ نظري عن مدى العين وارتدَّ
البصرُ ظلّاما . الا تجلسون ؟ فجلسنا وقلنا : هوَنُ
عليك . فيمَ هذا الغمُّ كله ؟ قال : سستمعون خبرا
غريبا . هي أختي ، رحمها الله ، وقد ذكرْتُها .

ثم أمر بالطعام والنبذ . فجاءونا بمائدة عليها
لحمٌ مشوي ورطب ونبذ كثير . فاصبنا من الطعام
وصببنا من النبيذ ، وهو مُمسِكٌ لا يمدُّ يده إلى رطب
ولا شواء ويشرب ولا يقول شيئا . فلما فرغنا من الطعام ،
وهو على وجوهه كالممتلي بكاء لا ينفجر ، ثقل علينا
وأعدّانا من غَمِّه . فقلنا : قلها ، قد ضيقنا . قال :
هل تعرفون النار معنى ؟ قلنا : لا والله . قال : يرى
الناس نيرانا كثيرة . ولكن أكثر الناس لا يفقهون .
وللصاعقة ؟ ولظلمات القبر ؟ ولانهيار الصخور في
الجبال ؟ وللرياح العاصفات هل تعلمون من معنى ؟
قلنا : كلا والله . أي شيء هذا الكلام ؟ قال :

كانت لي بين السادسة والتاسعة من عمري أخت لم
تعش الا ثلاثا . وكُنْتُ أحبها حب الشياطين للشر .
وكانت ذات عاهات لا تدعوها علة الا اصابتها
أخرى . وكانت إلى ذلك بكاء صمًا . أسألُ في ذلك
فيقال : هو القضاء . وكنت كلما بكيت بكاءها
عظفتُ عليها وحققْتُها ، فهي بكاء حتى عن مُطلق
البكاء تريده فتوجع ولا ينشرح لها . وكنت أرهاها
فألهيها بما أتعلّم من الألعاب مع اترابي في الحي .
وكانت أُمِّي تنكرها وتقول : هي من سقطت أو عبث
الاقدار . فلم تزل كذلك ثلاثا حتى نزلت بها يوما
علة ذهبت بعينها ثم لم تلبث ان ذهبت بها ، فصحَّتْ
وبكيت وندبتُ وطال عويلي . وحسبته الشيطان
وقالوا : هو الله .

قال معن : فقلت : هذا ليس فيه ما يُحمِل
مثلَ غمِّك . فلا تجعل نفسك كالجليل يدعو الصاعقة

فإذا وقعت عليه ارتج وأصدى . قال : لقد علمتني
البكاء من القضاء . ثم صب فشرب ثم انفجر فبكى
حتى رأينا الدموع في لحيته . فرقنا له وقلنا جميعا :
رحمها الله . وصب لنا فشرنا . وما زلنا كذلك نشاره
وبكى حتى جاء وقت الصلاة . فقلنا : نذهب فنصلي
فيذهب ذلك بغمك . قال : دعوني . نصلي أولا
نصلي ونسعد أو نشقى هل ترون فيه من خير أو شر ؟
ثم قال : شر ما في الدنيا ان الحياة عبث . بل
لا أدري . لعله خير ما فيها .

• •

ثم قمنا إلى المسجد وجلس عنه يشرب فلا
يُدرك السكر ويبكى . وجئناه بعد العصر لننظر حاله
ونصرفه عن خواطره : وكان اذا وقع فيها طالت به
أياما . فلما دخلنا لقيناه بوجه باسم وحال قد انقلبت
عن الكدر . وقال : ما شأنكم في الدنيا ؟ باطل أم

حق ؟ قلت : ألك في خمر عتيقة ؟ وكان لي منها دن
جاءتني به قافلة الشام في يومي . قال : أما هذا وحده
فلا . فإذا زدت عليه نارا نوّدها ونشرب فنعم . قلت :
وجهنم ان شئت . قال وضحك : انت غريبا معن .
أنظرن وجهنم نارا ؟ الا وربها لو كانت فيها شرارة
لذهبت هباء وبطل العقاب . انما النار يا ابن سليمان
من أمر الدنيا . ثم قام وهمنا بالباب فإذا هو يلوي
ويقف . فقلنا : مالك ؟ قال : سترون . ثم صفق
بيديه فاقبل غلماناه جميعا . فجعل يسمى كلاً باسمه
ويقول : اذهب يا فلان ، فأنت حر . حتى صرفهم
واعتقهم جميعا . ثم اقبل علينا فقال : وددت والله من
شدة القلب ما أبلغ به كسر الحياة حتى أراها حطاما ،
أو من الحكمة ما أقدر به على اللعب كالصبيان حتى
تذهب أيامي ، أو من القدرة ما أغنى الحياة
كغلمانني فتمضي .

ثم جلسنا الى الشراب بيتي وأوقدنا نارا لظي . فلم
يزل أبو هريرة يشز ، عليها ويقول :

أَنْظُرُوهَا تُرْهَاتِ لَا تَقِرَّ وَجَهَ حَتَّى بَاطِلٌ لَيْسَ يَبْرَ
كَالْحَبِيبَةِ

وغيره حتى كان الليل .

حديث الحاجب

حدث أبو المدائن قال :

كان أبو هريرة سراقاً أرواح . وكان من المولعين
بالصيد . يخرج فيرمي الرميّة فيصيدها فيشرحها
ويُلقي بها : ولا يأتي بشيء من ذلك إلى بيته . وكانت
تأتي عليه أيام يقول فيها : لِمَ حُرِّمَ ان يُرْمَى
الناس ؟ تُثَقُّ والله ان أشقَّ منهم فانظر ما في امخاخهم
وقلوبهم واحشائهم . ثم يقول ويشير إلى بعض عابري
الطريق : أنظر إلى هذا . اني أراه سَكَبَنِي حَقِي : يمرُّ
ولا اصيب ممّا في صدره شيئاً . فاقول : وما أحوجك يا
أبا هريرة إلى غيرك ؟ فيقول : لا أدري : أو لعله ضيقُ



مخيس النفس القرد . وقد احسد الصبيان حسدا
 شديدا . اذكرو صبيانا ؟ كنتُ أشهد سباق الخيل ،
 فلا ينتهي السابق إلى القصب حتى أكون قد
 استقرعتُ في قلبي جهده وسرقت تعبهُ . وكنتُ
 ألاعب اترابي في الحي ، فنكون ملوكا كملوك الروم
 وطبورا وسباعا ورياحا عاصفة ونستوفي جميع ما خلق
 الله . فكان يبلغ بي الود والشوق مبلغه ، حتى لقد
 تشبَّهْتُ يوما ببعض قطّاع الطريق ، فتلبَّسْتُ به ، فلم
 أطلق أصحاب القافلة الا بعد ان عقلت رواحلهم
 وشددت عليهم حتى بكوا وعلت أصواتهم صياحا . ثم
 أفقتُ فاذا أنا قد مرَّقتُ ثيابَ أصحابي تمزيقا
 وأوجعتُ أكثرهم ضربا وشكوتني إلى امهاتهم .

حديث الطين

قلت : وما أكمل العقل ؟ قال : معرفة الانسان
بقدرته ،

(الراغب الجرجاني)

عن أبي هريرة انه قال

خرجت من المدينة وقد أخذت عصاي أتوكأ
عليها فأحملها ثقلي . فتصورت لي بكر من
الارض تدعوني . فطرح ما كان معي وقد كسفت عني
لذته . ثم أوقعت بها رجلي فكانت كالخلق أو كالدهر .
وهمت فلم ازل فيها كعروس ليلته حتى مضت لي أيام
وأنا أطلب من الفاكهة ما لا يعرفه أحد وادعو الكون
أن يُعَاد واغبط آدم وحواء . إلى ان تم علي انفرادي
فصار لي الليل والنهار كالعبث ليس من ورائهما شيء ،

واستوى لي الزمان فهو كالبحر الساجي .
أو كالابد .

* *

رواه أبو عبيدة . وحدث بمثله ثابت القيسي وزاد
عليه فقال :

وكان أبو هريرة اذ ذاك بكراع الغميم : وادّ ذي
رمال بين الحرمين : يقال إنه كان من أرض الجن
لا تبرحه المعصرات المعصيات الا قليلاً ، فهو شديد
المراس لا يجراً عليه أحد . فرآه به من أخبرني - وظنّه
من الجنة - قال : رأيته وقد أقبل على رسم يلعنه ويلعن
القرون الخوالي ويتفل كالشيطان . ثم أنشأ يجيل
بصره في حيرة الفاقد صاحبه . ثم عمد إلى
مكان فاضطجع .

قال ثابت : فذكرت الخبر يوماً لابي هريرة وسألته
فيه فقال : نعم . وقد ضقتُ يومي ذاك ، فطلبتُ

فرجةً ، فقلت في آدم وحواء رثاءً وجئت به نساء حي
كانوا بالوادي . فأبين ان ينحن به وقلن : هذا أبرد
ما رأينا من الرثاء . أنت أحمق . فقلت : نعم . ونُحِت
به وحدي : فلم أجد والله أبرد منه . وضحك أبو هريرة
قال ثابت : لعله يريد حياً ونساء من الجن . أو لعله
أنشأ الخبر إنشاءً دون مطابقة . فقد كان أبو هريرة
لا يخطيء أمراً مما يُغالط فيه : يُصيّبه فيغالط به :
كانما يكره أن ييوج بباطن سره أو يعلمه احد ، حتى
اشتبه أمره على الناس . قال : فقلنا له : وما كانت
حاجتك إلى رثاء الشيخ والعجوز ؟ قال : لانهما كادا
أن يعلماني جهلهما الدنيا ويكرّ السبيل . فلما فقدتهما
عادتُ تقودني السبلُ المسطورة ، ووقعتُ في سابق
قصتي ونفسي ، وكنت أريدُها عذراء لم يطأها
واطئ ، فإذا هي عجوزٌ فاجرة .

قال أبو عبيدة - ولم يروه ثابت :

قال أبو هريرة : وجلست ذات يوم . وكان زادي
قد نفذ من امسي والهجرة قد نشرت جنتها على
الارض ، فانا في صفاء الضحى لا يشوبها غيم وضياء
النار . وكنت بوادٍ رماله كامواج السراب يركبها البصر
فينساب وتكاد تشف . فامضت لي ساعة في اطمئنان
حتى همت ربح بمثل نجوى الانسان . ثم قوت
فدرت الرمال فحففت لها على الارض كثوب خز .
ثم زفرت فذهبت بها كالكسفة الافاعي . ثم
اشتدت وزفرت فهي تمور كالبحر . إلى أن
كشفت لي عن رسوم بالية فيها جمجمة بالية .
فذهب ذلك بوحشتي ونزع فرحي وقلت : ما طلب
الوحشة طالب الا استيقظ له رسم دارس . فكأنني
أجده بقلبي . وكرهته فهمت ان انصرف . وكنت
خرجت لامحو قصتي فاذا هي في من قبل آدم

لا تمحي . ثم انتشرت خواطري فاضطجعت
فاغفيت .

° °

فرايت في منامي رؤيا لم أرقط مثلها حماقة وغرورا .
رأيت بلدا غربيا أهله حيناً كالنمل وحيناً كالقيلة ،
وهم يعجنون طينا ويجعلون الحجر على الحجر
فيشدونه به فيتخذون صروحا . ومن بينهم جماعة
يغنون شعرا يوقعونه على احجارهم يرفعونها :

العقل	ردى	والفكر	سقم
والروح	صدى	روح	العدم
والفعل	بقا	والجهد	سلم
فلنن	بنا	بنفي	العدم

ومرتل يتلو بقراءة حمزة :

« يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري . فأوقد

قال أبو عبيدة - ولم يروه ثابت :

قال أبو هريرة : وجلست ذات يوم . وكان زادي
قد نفذ من امسي والمهاجرة قد نشرت جنتها على
الارض ، فانا في صفاء الضحى لا يشوبها غيم وضياء
النار . وكنت بوادٍ رماله كامواج السراب يركبها البصر
فينساب وتكاد تشف . فامضت لي ساعة في اطمئنانني
حتى همست ربح بمثل نجوى الانسان . ثم قوت
فذرت الرمال فحفت لها على الارض كثوب خز .
ثم زفرت فذهبت بها كالسنة الافاعي . ثم
اشتدت وزفرت فهي تمر كالبحر . إلى أن
كشفت لي عن رسوم بالية فيها جمجمة بالية .
فذهب ذلك بوحشتي ونزع فرحي وقلت : ما طلب
الوحشة طالب الا استيقظ له رسم دارس . فكأنني
أجده بقلبي . وكرهته فهممت ان انصرف . وكنت
خرجت لامحو قصتي فاذا هي في من قبل آدم

لا تمحي . ثم انتشرت خواطري فاضطجعت
فأغفيت .

° °

فرايت في منامي رؤيا لم أرقط مثلها حماقة وغرورا .
رأيت بلدا غربيا أهله حيناً كالنمل وحيناً كالفيلة ،
وهم يعجنون طينا ويجعلون الحجر على الحجر
فيشدونه به فيتخذون صروحا . ومن بينهم جماعة
يغنون شعرا يوقعونه على احجارهم يرفعونها :

العقل	ردى	والفكر سقم
والروح	صدى	روح العدم
والفعل بقا		والجهنم سلم
فليس بنا		بئس العدم

ومرتل يتلو بقراءة حمزة :

يا أيها الملاء ما علمت لكم من إله غيري . فأوقد

لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلِّي أطلع
إلى اله موسى . واني لأظنه من الكاذبين .

فيردون عليه ويدخلون فيه من لجنهم حتى كأنها
دوي السماء ترتج : « فكذب وعصى - (بنضلدكم)
- ثم أدبر يسمي - (بنهر تلغم) - فحشر فنادى - (بر
أنهتدم) - فقال أنا ربكم الاعلى » .
فلما استيقظت قُمتُ إلى أحياء العرب فبقيت فيها
سنتين .

قال أبو عبيدة : ولم يذكر أبو هريرة معني لما
ورد ثني الآية من البربرة ، تنزه كلام ربي عن رطانة
العجم . وانما هو الشيطان في النوم ألسم .

حديث الكلب

حدث كهلان - وكان من صعاليك العرب وشداد
لصوصها - قال :

اني لعل بعض الطرق انظر حيا اوقافلة اُصيب منها
اذ اشرفت علي قافلة كانها ثعبان . فهي في عِدَّة
لا أقدر عليها . فقلت : أرجئها إلى الليل . ثم ركبْتُ
ونزلت فقلت : ضالٌ يسترحم . وعانقت أولَ مَنْ
لقيتُ منهم ودفعْتُ الدمعة . فرقوا لي وانها لعل علي الطعام
والشرابُ وكنتُ ممتلئا فتحمّلتُ ما لم اتحمل مثله قط .
ثم سرنا وانا اطلب في صحبي والعير والبضاعة مقتلا
اصيبهم منه . وكنا في سنة نزلت بالناس ففرّوا لها فرارا

وتعاقبت احباؤهم في اضطراب الواهة الثكلي . وكانت
القافلة لا ينامون الا وعلى العير والمتاع رقيب . فلما جاء
الليل وقام رقيبهم صبرت عليه إلى ان خفق الليل ووقع
بعينه رشاش من النوم . ثم اخترت من الابل خيرها
وركبته وسقته . فما زلت اكده سيرا حتى نجوت .
وكنت على مسيرة يوم من احب مكاني إلى . وكنت
أريده . فما زلت الح على فرسي والجمال حتى كانت
الهاجرة واحتد علي حُمى الشمس فالسما حديد .

فانا إلى كنه من جبلي اذ سمعت هاتفا وراءه يثن .
فقلت : بقيه حي قضى نجه اورائد حاد عن سبيله
فهلك . ثم قلت : أرحمه فأصيب فيه ثواب المغيب .
فمليت اليه . فلما اشرفت اذا رجل مستلق والوجه
ياكله اكل الحساء للعقة . فبادرت اليه وأقبلت عليه
أقيمه . فكان الرجل لم يرنى . فصحت به : هات
يدك فقم . فلم يحرك يدا ولا طرفت عينه . ثم اذا
هو استوى فصاح كمن به مس : أو هكذا يرنى الدهر

بالامل البكر ؟ سر يا هذا ودعني فقد وقفت سبيلي .
فاردت احتماله فاستلقى وهمس كالمذنب انقطعت
أنفاسه : دعوني يا أضع من وهاد ، يا أضعف من
عباد ، يا أحقر من بعوض يا بني الانسان . وارتعد
ارتعاد العريان في يوم قر . فقلت : لا تفعل الحسنه
بمن يردّها . وقلت : يرحمه الله . ثم رجعت فقلت
وانصرف .

• •

فما سرت ساعة حتى لقيني نقر على رواحل
مزبدة ، وهم يُجهدونها كأنّ على اترهم يوم الدين .
فاستوقفوني وقالوا : هل أصبت في طريقك منفردا
كالتائه ؟ فاخبرتهم بخبره . فقالوا : ذاك ابو هريرة .
ما الوجه اليه ؟ وكنت سمعت خبره وأنه من سنة أو
ستين يطلب حمل الناس على مذهب غريب ويقول :
ليس من شأن الانسان الفناء والصبر . ويضرب الامثال

ويذكر العبر . فيهزأ به الناس ويتبعه الصبيان . ثم سمعت
أنه تغيب عن أعين الناس . قلت : اني منطلق بكم
اليه . وذهبتا سرعانا .

وسالت النفر من هم : وكانوا ستة وسابعهم
كلب كأن لسانه قطعة من نار . فقالوا : لقد أسقط عنا
ابو هريرة انسابتنا فنحن لا نتسب . فتركت كلامهم :
وسرنا حتى وقفنا عليه وهو لا يزال مستلقيا كالخلق
الطريح ، وقد فئت في عينه الدنيا . قلت : ما نصنع
بالرجل ؟ قالوا : نحمله إلى ماء وظل قريب . وكان
في كلامهم حيرة . وكنت عالما بجميع مياه المكان .
فقلت : انا لذلك . واحتملت ابا هريرة : وكان قد
ذهب عن الحس ذهابا ، فهو في خفة غريبة كأنه
الروح . ثم اردفته وأشرت اليهم فتبعوني والكلب بين
ايدنا كخفق السراب . وذهبت بهم حتى نزلنا
بئرا ميهة عادية عندها صخور مبثوثة كهام الاولين .
وكنت جعلت عليها عريشا واتخذتها كئنا ومكمننا اذا

اصبت فيئا اوسيت سيئة . فجعلت ابا هريرة تحت
العريش وقلت : صاحبكم تكاد ان تنضب روحه .
فعجلوا بمائه وطعامه فاني اراه لم يطعم شيئا من ايام .
والقيت دلويا فاخرجت ماء كالبرد . ثم سقينا ففتح
عينيه ، فاطعمناه وهو لا يقول شيئا . ثم اخذته الحمى
فدامت به اياما . وكان الكلب لا يبرح جانبه وهو في
لهاث كالمدة والجزر . وبقينا كذلك اياما ، وكانت
تصيب ابا هريرة عند هاجرة كل يوم نوبة شديدة يهذي
لها فيقول : فرعون ام الله ؟ او يقول : يا اوضع من
وهاد ... ويعيد كل ما سمعته منه يوم وقعت عليه .
فكنا نصبر له ويكي اصحابه حتى كأنهم نسوة
ويقولون : مات سيدنا .

. .

وسالت النفر عن امره فقالوا :

كُنَّا مِنْ شِدَّةِ السَّنَةِ فِي مِثْلِ ذَاتِ الْكَلْبِ ، نَطْلُبُ
الْقُوَّةَ بِالسُّيُوفِ وَنَكْمُنُ لِلْقَوَافِلِ وَالْأَحْيَاءِ وَنُكْمِنُ لَنَا
وَنُغَيِّرُ وَيُغَارُ عَلَيْنَا . حَتَّى ذَهَبَ مِنَّا وَمِنْ أَعْدَائِنَا .
وَأَطْلَعَ عَلَيْنَا يَوْمًا بَعْضُ أَحْيَاءِ بَنِي مِرَّةٍ - وَكُنَّا قَدْ حَمَلْنَا
امْرَأَةً مِنَّا وَطِفْلَيْنِ إِلَى الْحَفْرَةِ وَاكْلَنَّا إِبْلَنًا وَلَمْ تَبْقَ لَنَا إِلَّا
الْأَفْرَاسُ . فَنَحْنُ إِلَى عَاجِلِ الثُّبُورِ - فَاعْرَضْنَا حَتَّى
طَرَحْنَاهُمْ كَالْعَنَاصِلِ . وَوَقَعْنَا عَلَى الرِّحَالِ وَالْأَحْمَالِ .
فَلَمْ نُصَبْ مِنْهَا إِلَّا نَوْبَاتٍ هَزَالَا مُصَّتْ مَرَارًا .
فَكَأَنَّنَا قَتَلْنَا مَيِّتَةً .

وَبَقِينَا كَبْغِلِ الطَّحَّانِ نُحْوِمُ وَلَا نَدْرِي الْمَصِيرَ . فَإِذَا
أَبُو هَرِيرَةَ طَلَعَ عَلَيْنَا بِكَلْبِهِ وَعَصَاهُ . فَأَقْبَلَ عَلَى الْجُنُثِ
فَجَعَلَ يَحْثُو عَلَيْهَا التُّرَابَ وَيَحْثُو كَلْبُهُ حَتَّى وَارِبَاهَا
جَمِيعًا . ثُمَّ وَقَفَ فَبَكَى وَصَلَّى لَهَا وَسَجَدَ كَلْبُهُ . وَنَحْنُ
نَنْظُرُ إِلَيْهِمَا وَلَيْسَ فِينَا مِنْ يَكْلَمُهُ وَلَا مَنْ يَقْدِرُ عَلَى
الْكَلَامِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا وَقَالَ : اتَعَجِبْكُمْ جُنُثُ الْقَتْلِ
تَفْجَحُ ؟ أَيْغْنِيَكُمْ الْمَوْتُ ؟ أَمْ تَفْعَلُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ ؟ ثُمَّ

أَوْسًا فَقَمْنَا إِلَيْهِ . فَسَارَحْتِي وَقَفَ بِنَا عَلَى أَحَدِ قَتَلَانَا
وَأَزَاحَ التُّرَابَ فَإِذَا وَجْهُ حَسَنَاءَ كَأَنَّهَا النُّورُ . وَقَالَ :
وَقَدْ جَعَلْتُمُوهَا ظِلَامًا . ثُمَّ حَثَا عَلَيْهَا التُّرَابَ وَقَامَ وَبَكَى .

• •

وَحَدَّثْنَا وَحَدَّثَ الْحَيَّ حَتَّى طَابَتْ لَنَا الْحَيَاةُ . وَقَامَ
يَهْدِينَا حَتَّى نَزَلَ بِنَا جَنَاتِ وَوَدَيَانَا طَاشَتْ عَنْهَا أَعْيُنُ
النَّاسِ فَهِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَكَأَنَّهَا مِنَ السَّمَاءِ .
وَمَكْنَتُنَا عَلَيْهَا أَيَّامًا نَصِيبُ مِنَ الْفَاكِهِةِ وَالرِّيحَانِ ، عَنَّا
وَتَفَاحَا وَتِينَا وَرَمَانًا وَعَبْهَرًا وَنَسْرِينَ . ثُمَّ جَاءَنَا فَقَالَ :
أَطِيبْتُمْ نَفُوسًا لَغَيْرِ الْقِتَالِ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . وَقُلْنَا :
أَنْتَ سَيِّدُنَا . فَقَامَ بِنَا إِلَى الْأَحْيَاءِ نَعْتَرِضُهَا فَنَسْتَوْقِفُهَا
فَيَقُومُ فَيَحْتَطِبُ فَيَقُولُ : إِنْ الْجِهَادَ قَائِمُ السُّيُوفِ بَيْنَكُمْ
يَزْقُرُ كَالصَّخْرَةِ الظَّمَاى وَبُورِي الْفِتَنِ الصَّمَاءِ . فَهِيَ
عَلَيْكُمْ كَقِطْعِ اللَّيْلِ أَوْ كَعَيْنِ السَّبِيلِ سَوْدَاءَ . وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ رَاضُونَ ؟ وَاللَّهِ إِنَّهَا لَمِنْ الْمَعْجَزَاتِ . إِنْ الذَّنَابَ

تلبست بدمائكم فاعارثكم وحشة وظماً وجوعاً ،
وانبتت بافواهكم انياباً حديدًا . فتآكلتم وتقاتلتم .
فلا القتل أروى ولا النهب أشبع . والله انها لمن
المعجزات . تُفسدون وتهدمون وتجعلون ما خلق الله
دماراً ، وانتم لا تعلمون ما تطلبون . الا انكم فؤوس
الخراب . أفلا تستحون وترعون ؟

او يقول شبيهاً به ثم يسكت . فيصبح الناس :
كلامك لا يغني من جوع . فيشير اليها فتمطر عليهم مما
احتملنا من الفواكه والتمر والبُر والرند والريحان .
فيقبلون عليه رُكعاً وسجوداً . فيعرض ويقول : كذا انتم
شروهن . والله انها لمن المعجزات . ثم يقوم بهم فننزلهم
الجنان والوديان .

ثم عادت الفتن ونشأ الحسد بين اهل الجنات .
إلى ان أمسى أبو هريرة فلم يصبح . ولم يفقهه

من الناس غيرنا . وطلبناه اياماً فلم نقف عليه . ومضت
شهور . ثم جاءنا الكلب فقفونا . وها نحن بين يديه
وهو كما ترى .
ثم يعود اليهم البكاء .

• •

قال كهلان : واقمنا على ذلك اياماً . حتى خف
عنه الداء . فقال لاصحابه : دعوني وعودوا إلى
الجنات والوديان ؛ فقد تفتقدكم أم أوعدو . فانطلقوا
انطلاق الجسد برحمة الروح . وبقيت أبا هريرة
وكلبه . ثم اذا هودعاه فقال ومسح على راسه : وانت
ايضا يا حبيبي . لو انطلقت لكان خيراً . فانصرف
الكلب وهو يعوي . فلم نزل نسمعه عند العتمة وعند
الفجر . فهو إلى اليوم يعوي ثلاثاً عند الغروب وثلاثاً عند
الفجر ، وتسمعه القوافل والاحياء ولا يراه احد في ليل
ولا نهار . وكان ابو هريرة يقول : هو ايضا يؤلمه القضاء

فيكي . انه يعوي شأنه في الحياة حصيراً بما قُدِّر له .
ذاك انين المريض او ثورة المتمرّد . فاقول : وما تعلم
الحيواناتُ من حظّها والقضاء ؟ فيقول : لعلها تشعر
منه شعوراً فتوجّع توجّعاً لا ندركهما ولا نفقد
منهما شيئاً .

حديث العدد

حدث كهلان قال :

لما ذهب اصحاب أبي هريرة والكلبُ خلُونَا .
وكان لا يزال على بقية من مرضه تباطأت به .
وكنت على رأسه لا ابرحه . فكان يحدثني حديث الميت
يُبْعَثُ كرها ويتوق إلى موته . فسألته يوما في شأنه بين
الناس . فقال : عشتُ في الناس ثلاثين . فلم أروا الله
في واحدة منها الا ذئباً ينهش ذئبا أو صاديا يشرب
فيشتدُّ صداه . ولا خير في الوحوش ولا خير في النفوس
الصوادي ... والارضُ في ذلك تنشيء وتعيد . ثم
انطلق به الفكر وكان كلما انتشر في خواطره سجا

كالبحر وشاع كالدهر وامتدّ . فكرهت ان اسأله ولزمت
صمتي حتى عاد اليه الكلام فقال : اتحب ان تسمع
خبر هؤلاء ؟ قلت : نعم . وخبر من عرفت جميعا .
قال :

منهم قوم هؤلاء الستة . وليسوا من شأني . ادخلتهم
وكثيرا غيرهم جنات ووديانا فسجدوا لي . ثم نظرتُ
فاذا النعمة ترشح بالشر والكُتُود ، واذا هذا يفتersh
عرض ذاك وذاك مائل النظر إلى امرأة اخيه وآخر يجيل
يده كلّ ليلة في متاع جاره وذويه . ولم يلبثوا ان نسوني .
التقى الرجل منهم فيقول : من أنت ؟ فأقول : ابو هريرة .
فيقول : ومن ابو هريرة ؟ أقول : انا . يقول : ومن أنت ؟
فههم في نسيمة وخديعة وسرقاة وغدير وجحود للنعمة
وقلة وفاء . إنما كان لي شأن مع غيرهم .
ثم قال :

انه يا كهلان اذا كره المرء الحضر والقصر طلب كثرة

اليسم واشتاق العدد . خرجتُ اريدهم على البناء وان
يتعاونوا ويطلبوا الشدة والبأس . فقلت : رحيلكم فرارُ
الجبان . الا تستحون ان تكونوا كالرياح . ثم نظرت
فاذا هم في سنة شديدة متخاذلون متأكِلون ، وعلى
ذلك يُصلُّون ويدعون الاستسقاء وربهم ، ويُسبحون
اسماءه الحسنی . فقلت : ابنُ آدم يقتضي الرحمة .
ودعوتهم إلى جنات ووديان وأعناب مهذلة من لؤلؤ
ومرجان وتين وتفاح ورومان وماء مُستراح وريحان . وقلت :
كلوا واشربوا . فلما شبعوا قمت فقلت : اطابت لكم ؟
فقال قائلهم : يا أبا هريرة جُعنا . وقالوا : دعانا
داعي الرحيل . قلت : كأنهم مثلي ، لكن هيهات .
ثم خرجت بهم إلى صحراء يبداء سماؤها خلاء .
فتأهوا بها وصرقوا بانبا بهم واستحال الطعام فتأكَلوا حتى
ذهب أكثرهم وبقي نفر منهم صاحوا : يا أبا هريرة
طعامنا زقوم . ولم يعمد احدهم لاختيه فيأكله أو كرهوه
وقالوا : غيرك لا يغنيك من جوع . ثم عمدوا إلى

انفسهم فنهشوا ايديهم وارجلهم نهشاً حتى ذهب
أفواههم وانيابهم باجسادهم جميعاً كالنار تأكل النار .
ثم قامت هامهم فهي إلى اليوم في التيه هناك يُسمع
لها كحفيف الحية وكنقيق الضفادع ليلاً وتصور الذئاب
نهاراً . قلت وارتعدت : لا يجدون في فَنَائِهِمْ ما لم
يجدوا في الحياة .

وقلت : انه لا يشبع مَنْ رَوْحُهُ الْجُوعُ .

• •

ثم قلت : لعلّي أجد في بعض الناس مكتفياً
لا يزدادُ جُوعُهُ للطعام وصداه للشراب . فعدت
فاقبلتُ على احياء اخرى ذليلة مستكينة عليها أميرُ عُرْدٍ
مستبد . فدعوتهم إلى نخلٍ معاجيلٍ كارعاتٍ وانهار
جارياتٍ وافنان وظلال واطلاقٍ حال وخيراتٍ جزال .
فلما امرعوا قمت فقلت : اطابتُ لكم ؟ فصاحوا
كلهم : قد امرعنا وطاب المَقَامُ . وتوسدوا الظلال فناموا

فقلت : كذا انتم والله ، لا تعرفون الا الاسلام . وانكرته
فصحتُ : ايها الملا اسمعوا . اني وجدتكُم كالكلاب
على جثة عفنة ، تأكلونها نظراً وتلتمضون لها شفاهاً
ولا يقربها أحدكم الا ذهب به انياب سيده أو أخيه .
وكنتم في شدةٍ فاخرجتكم منها وجئتُ بكم هاته
الجنات والوديان . فرأيتكم عليها كمثل شيخ ذي
وقار على يهودية عجوز كانها الاثم اريد فلم يُدرك ،
تحدثه وتسقيه وفي عينيها رحمةُ الشيطان لآدم .
تكتفون بالصَّدَقَاتِ وتنامون . والنعمة لا تدوم بالعتاء .
وما اهلُ لنعمةٍ مَنْ كان رخا . أفأنتم راضون .

هاته الارض نحن خلَقْنَاهَا . وهاته السماء نحن
نصَبْنَاهَا عمادها فأقمناها . فهل ملكتُم من خيراتها
شيئاً؟ - لقد قالوا عنكم : ليس لهم الا جَزَلَةٌ من
رغيف ولعبة تلهيهم كالصبيان . وحجّبوا الشمس وفيها
لكم نورٌ به تهتدون ، وامسكوا العيون وفيها لكم حياة ،
وذبحوا عنكم البقرة الصفراء . وقالوا : ما يولد منكم

اليوم ، غداً نأكلُ جهده ونمتصُ دمه . وما حرثتم
اليوم ، إلى أفواهنا من الساعة سنابلهُ . وقالوا :
نساؤكم لنا إماء وأرواحكم مرعى أيها الضعفاء . ثم
القاوا لكم بعظام مَقَشَّراتٍ هزال . فجتوئتم على
الرُكْب تُصلُّون . وقتلتم : طاعةً وحماً يا أولي الامر
فينا . فحشروكم فالقوكم في الاصفاذ . أفأنتم
راضون ؟ أما آن ان ترتفعوا إلى الشدة والبأس ؟ ألا
توقدونها حمراء ليس يردُّها جان ولا إنس ؟

ولم ازل بهم حتى رأينا الجبال من حضرموت والسرّة
إلى طور سنا سارت وعلى رؤوسها السُحبُ وسيلها فلقُ
البرق ، فاستدارت في السماء دُوباً وانشقت وانفطرت
فتطايرت قطعاً كالرعد كأنها تريد السماء أن تجعلها
اشلاء . ورجت بنا الدنيا فإذا نحن كتابٌ وقد
أزقت بنا السيوف زقاً . وفضنا امواجاً مرعدة على
الانجاد والاغوار . وانتشرنا كالليل فوقنا على الشام
وأكثرنا بتهامة نفعاً واصبنا اليمنَ وامتدنا إلى

العروض وعشنا حتى تركناها دماء . وكذنا ان نطمس
كل حي فلا نبقى ولا نذر .

• •

وجدت في الفعل كمثل سكرة الحمر وحسبته
من العدد وخصب الكثرة .

• •

ثم اغرنا يوماً فقلْتُ : أغيروا ولا اقودكم . فأغاروا
فانهزموا . فهم كمثل قوم تقول : ابتئوا . فيقولون :
نُحبُّ ان تنفخ في البناء وان تقول ما نبني . فتقول :
كسروا الجبال وأقيموا القصر والصرح . فلا يقدرّون
ويقولون : إننا وجدنا انفسنا عُمياً كساعِدِ المقطوعة
يدهُ . افلا تجعلُ يلك مع ايدينا ؟ فتجعلُ فيثنون
شيئاً ثم يُعيثون . فهم كأعجاز نخلي هاوية . فلمّا
خاروا هممتُ ان افعل بهم ما فعل أبو رغال بقومه .

ثم قلت : إلى أين أيتها الشدة الكاذبة ؟ وانقضى
نَحْبُ عزمي فصَحْتُ : دعوني أيتها الاجسادُ ليس
لها روحٌ غيرُ ما سَلَسُن من رُوحِي . وبقيتُ وحدي على
جَهْدِي وَتَوَقُّي .

هذه يا كهلان قصة الطالب الكثرة . جثتهم
فسألتهم روحاً فإذا هم افرغ من نفخة إسرافيل وإذا
انا في وحشة القطرة من الندى تُغَيِّي على الغصن صباحاً .
وها انا على صَدَاي . اسمعُ حفيفَ الحية ونقيقَ
الصفادع ليلاً وتصورُ الذئاب نهاراً .

قلت : وعواء الكلب يا أبا هريرة ايضاً : ليلاً
ونهاراً .

فقال : نعم وعواء الكلب ايضاً ليلاً ونهاراً ، حتى
بعد موته وعظامه رميم ، وفاء لا يعرفه الإنسان .

ثم قام ابو هريرة فأخذ عصاه وقال : ارحمهم
يا كهلان ولا تُؤْمِنُ بهم . السلام عليك يا حبيبي .
وانطلق فكأنني به ضِعْمُ الابد .

حديث الجماعة والوصية

حدث هشام بن حارثة عن ابي عبيدة قال :

افتقدنا أبا هريرة في بعض دهره امداً طويلاً
وانقطعت عنا اخباره ، حتى ساء ظننا بمصيره ،
وقلنا : إن كانت ألفت به وفاته فيرحمه الله . وكنا نتذكرة
وترق قلوبنا ونجده في قرارة أنفسنا أنساً حاضراً وإن
ضاع شخصه . وكان كثيراً ما يقول لنا في خير ساعات
عشرتنا وحال انبساطه للدنيا : انما بهذا الأنس وهذه
الألفة والمحبة صور الله الإنسان إنساً ومتمعة .

ومرت احقاب . ثم اذا هو عاد من غيبه الطويلة

وتيهه في احياء العرب ، فطلع علينا أشعث مغباراً
 قاسي الوجه أليماً ، حتى كدنا لا نعرفه . فعطفنا عليه
 نسأله في أمره وخافية ما ظهر لنا من بؤسه وبأسه . فيقول
 احدنا : يا ابا هريرة من اين عليك كلُّ هذا ؟ لقد
 امتلأت قلوبنا شفقةً عليك ورقة . فيصبح فينا ويلوي :
 اليكم عني يا ابناء التكريا بني الانسان ، ان شفقتكم
 لعنة . والله لقد عاشرت واستأنست أشباهكم كثيراً .
 وحسبت أن في العشرة سعة النفس واليمن والنعمة ،
 فما كان منه الا خلاء الحية ووحشة الوحدة ، وارتدت
 الي نفسي ضيقة حسيرة : وضل عني كياني . وإنَّ
 ذلك هو القنوط الاشقى : أن تُغري عشرة الجماعة
 بظاهر البركة والطهر والكثرة ، فتتكشف شراً ونجاسة
 وعُقماً وشقاوة وحدة . كإغراء الآل في قبة .

وكان يقول وهو يختلج كأنما اخذته الغصة .

قال أبو عبيدة : ولم يزل ابو هريرة من ذلك العهد

كالنافر من الناس : لم نر له قط بعدها عطفة . فكأنه
 مات في باطنه بعض ما يكون به الانسان انسانا
 او عميت بصيرة . وكان ذلك اول انحداره
 الى نحيبه .

حدیث کے اعمی

« كَرَيْنَ بِقَلْبِ الْبَصْرِ خَاسِئًا وَهُوَ حَمِيرٌ »
(قرآن)

حدث ابو اسحاق عمرو بن زيادة السعدي قال :

خرج ابو هريرة مُشْرِقًا. فضرب في الارض زمنا .
ثُمَّ رَدَّته عَلَيْنَا بعضُ قوافل الغرب كثير الغبار فاني
العصا . فَسَأَلْنَاهُ فِي رِحْلَتِهِ فَاَبْتَسَمَ . وقال : لو كنتم
عَشْتُمْ فِي مُسْتَقْبَلِ الدَّهْرِ لَقَرَأْتُمْ مَا سَيَكْتُبُهُ ابْنُ بطوطة
من خرافات الصبيان . وكان يقول : لقد مَاتَتْ
الْجِهَاتُ السَّتُّ . او يقول : من ضَاعَتْ قِبَلَتُهُ فَلْيَسِرْ
وَلَا يَطْلُبْ شَرْقًا وَلَا غَرْبًا .

فكأنما ضاقتْ عَنْهُ الدُّنْيَا وَفَاضَ عَنْهَا او وقع
عليها فأفناها .

حدیث سے اجمال

حدث حرب بن سليمان قال :

جاءت على ابي هريرة ايامٌ كان يُسألُ : يا ابا
هريرة حدثْ . فلا يكون منه الا ان يقول فكانَ
لكلامه ثِقلاً يُعَي : لقد ضاع عني وعجز الكلامُ . فهو
يومئذ أَمَلًا فَأَعْظَمُ وَاَبْدَعُ مَا يُرَى وَاجِلُ .

ولم يزل كذلك حتى خرجَ ففقدناه شهوْرًا .

حديث الغيبة رطب فالتدركه

« لقد عرفت أن سعادة النفس وكمالها أن »
 « تنقش بحقائق الأمور الآلية وتتحد بها »
 « حتى كأنها هي ... »
 (الغزالي)

حدث مكين بن قتيبة السعدي قال : حدثني هشام
 بن أبي صفرة الهذلي قال :

كانت ظلمة الهذلية من راهبات دير العذارى .
 تنصر أبوها في بعض عمره فنشأت على
 النصرانية . وكانت مع حُرِّ جمالها تقورا شروداً ، تأتي الأنوثة
 وتتصنع طبائع الرجال . فلما بلغت من السن ما يطغى
 فيه الدمُ ويفيض الماء ، تمردت فترهبت ودخلت
 دير العذارى . فذهب لها به ثلاث سنوات .
 فهي به إذ نزل بهم أبو هريرة . فأقام فيهم زمناً .
 ثم انصرفا معا وقد ارتدت وفجرت فأمنعت في ذلك .



ولم يكن فجور كفجورها نيةً ومعنى . وكانت تقول :
فجوري من الطاعة والاذعان . آمنت من يوم آمنت
بالجسد وكفرت بالروح ثم أسنتُ وفنيتُ . فاشترتُ
ثيباً ، وكانت تقول : ارتاح لنبييه .

• •

قال : قال : حدثني ظلمة قالت :

أول عهدي بابي هريرة يومَ طرقَ علينا بالدير . وكان
قليلاً من يطرق علينا لمنعةِ الجبل وشدةِ الدير وعُسْرِهِ
وانفصاله عن الأرض - قال : تريد دير العذارى . وهو
الذي على الجبل فوق أَكَايَةِ العَرَج يراه الحاجُّ في
طريقهم ولا يَبْلُغُهُ الا التُّسُور ، ولا يعلم أحد كيف
يرتقي إليه رهبانُهُ ولا كيف ارتقى إليه أبو هريرة ولا
ظُلْمَةٌ - قالت : وكنت صاحبةَ المِفْتَاح . ففتحتُ له
وسألته ما حاجته . قال : حاجة الفارِّ الملتجئ .
فحبسته مترهّداً مترهباً . فقال وأشار إلى ظله : هروبي

من هذا . فرأيتهُ يُلَوِّحُ إلى ذنوبِ اعتلقتُ به . فقلت :
ان كنت تطلب مَحْوَهَا فادخل . فدخل وتقدمته الى
رأس الدير .

ونحن بدهليز الدير اذ قال : وقد رأى مسبحتي
وتسبيحي : في كم تسبيحة تعمي العين ؟ وكنت
نسيت النورَ وعينيَّ لشدة ما كنتُ اصرفهما إلى الغيب .
فلما سمعتُ كلامه ثنيتُ بصري اليه . فاذا هو من
أوضح وأضوى وأحسن مَنْ رأيتُ عيناً ، واذا عينه
أشدُّ ما رأيتُ شوقاً إلى ما لا تراه غيرها من العيون ،
فكأنها تنشئُ مرثيَّها إنشاءً وكانَ روحه البصرُ . وكانت
مِشِيَّتُهُ لا تكاد تستقيم كأنَّ به خمراً أو نَصَباً . فقلت :
ما بك ؟ قال : سؤالُ أطلب جوابه . أريد أن اعرف
أيهما أصدق وجوداً الله أم الشيطان . فقلت واستغفرت :
استغفر ربَّك يا هذا وطهر نفسك من الدنيا . فصاح :
لا تستغفري ولستُ بمستغفر . أريد أن اعرف أنا خالقُ
الله أم الله خالقي . وأردتُ أن أمسكه عن كفره فأبى .

ولم يكن فجور كفجورها نيةً ومعنى . وكانت تقول :
فجوري من الطاعة والاذعان . آمنت من يوم آمنت
بالجسد وكفرت بالروح ثم أسئتُ وفنيتُ . فاشتريتُ
ثيسا ، وكانت تقول : ارتاح لنبييه .

• •

قال : قال : حدثني ظلمة قالت :

أول عهدي بابي هريرة يومَ طرقَ علينا بالدير . وكان
قليلاً من بطرق علينا لمنعةِ الجبل وشدةِ الدير وعُسره
وانفصاله عن الأرض . قال : تريد دير العذارى . وهو
الذي على الجبل فوق أُمَّيَّةِ العُرج يراه الحاجُّ في
طريقهم ولا يبلغه إلا التَّسَوُّر ، ولا يعلم أحد كيف
يرتقي إليه رهبانه ولا كيف ارتقى إليه أبو هريرة ولا
ظلمة . قالت : وكنت صاحبة المفتاح . ففتحتُ له
وسألته ما حاجته . قال : حاجة الفارِّ الملتجئ .
فحبسته مترهِّداً مترهباً . فقال وأشار إلى ظله : هروبي

من هذا . فرأيتَه يُلَوِّحُ إلى ذنوب اعتلقتُ به . فقلت :
إن كنت تطلب مَحْوَهَا فادخل . فدخل وتقدمته إلى
رأس الدير .

ونحن بدهاليز الدير إذ قال : وقد رأى مَسْبَحِي
وتسبيحي : في كم تسبيحة تعمي العين ؟ وكنت
نسيت النورَ وعينيَّ لشدة ما كنتُ اصرفهما إلى الغيب .
فلما سمعتُ كلامه ثنَّيتُ بصري إليه . فاذا هو من
أوضح وأضوى وأحسن مَنْ رأيتُ عيناً ، وإذا عينه
أشدُّ ما رأيتُ شوقاً إلى ما لا تراه غيرها من العيون ،
فكأنها تنشئُ مرئيتها إنشاءً وكانَّ روحه البصرُ . وكانت
مِشْيَتُهُ لا تكاد تستقيم كأنَّ به خمراً أو نَصَباً . فقلت :
ما بك ؟ قال : سؤالُ أطلب جوابه . أريد أن أعرف
أيهما أصدق وجوداً الله أم الشيطان . فقلت واستغفرت :
استغفر ربَّك يا هذا وطهر نفسك من الدنيا . فصاح :
لا تستغفري ولستُ بمستغفر . أريد أن أعرف آنا خالقُ
الله أم الله خالقي . وأردتُ أن أمسكه عن كفره فأبى .

وسرنا على شبيهه بذلك حتى وقفتُ به عند رأس الدير .
فأخبرته بما كان من أمره . فاقبل عليه يسأله . فكان
أبو هريرة ينظر إلينا نظرة غريبة ولا يجيب . ثم قال :
الرهبانُ أينسون ويموتون عن أنفسهم ؟ قال الرأس :
نعم . ولقد نسي المسيحُ من قبلنا . ان كنت تطلب
لدائك دواءً فانت أخونا .

ثم أحملني الرأسُ أعلمه واروضه . فانصرفتُ به
يرمي عن جسده ثيابَ أهل الدنيا . فوجدت لثيابه
ريحاً كريح الدنيا هزت نفسي . وكأنما ادركها أبو
هريرة مني فقال : ألا تُذكرُك إبلَ الحي تكون ضباعاً ؟
ممن أنت ؟ هذا أنفك يرمع . وكان كذلك . فكرهتُ
ان اجيبه . ثم لبس الصوفَ ومكث فينا ستة أشهر يكد
نفسه في رهبنتنا . فلم ينزل من الدير الأبى .

قالت ظلمة :

وكنْتُ أُختلي به كلَّ ليلة في محراب أعلمه
الاخلاصَ وأعلمه الادعية . فانا به أولَّ ليلةٍ اذ أقبل عليَّ
وأخذ بيدي وقال : هل بلغت من الصلاح ما تحمِلين
معه فتلدين ولا فحل ؟ فنفضتُ يده واقشعرتُ دمي .
قال : ان لم يكن فالصلوات أقلُّ من الخمر جدوى .
كيف تتخلَّصون من الاجساد والارواح ؟ قلت :
نمزقها تمزيقاً حتى ننسى الالم . وأما الروح ففي الله
والمسيح فناؤها . وكان من طريقتهم تعذيب الجسد
حتى يفنى . ثم قمتُ فأتيته بسوط . فدفعه وقال :
بيدي لا بهذا . وكنْتُ أقول : دم المسيح ولحمه
يمحوان ذنوب المذنبين . فيقول : الا سبيل إلى
تعليمي ما يُشبي ؟ الا سبيل إلى غير المعقول ؟ علميني
الحمل والولادة وسرَّ توارث الارواح أو غيبي وأريحيني .
اليس فيكم من يحذق صنع الاصوات تُخضِر الآلهة
وتكسر الزمانَ وتُشيعُ المحدود . فاقول : اللهم ارحمه .

ثم علمته دعاء ليلته ودخلتُ غرفتي وبكيتُ إلى فجري .

ولما أصبحنا جثت الصلاة فإذا أبو هريرة قد شق لحمة بظفره ، فهي على جسده كالخيوط الحمراء ، وصوفه مضرجة كجلد السليخة . ثم اختفى عنا وخلا بمحاربه . فبقي به شهرين أو أكثر لا ينفذ إليه بصيص من النور . وكنت أذهب إليه بطعامه فلا يفتح لي باب محاربه ويقول : ضعيه على الباب . فاضعه وانصرف وأعود إليه بعد ذلك فإذا هو يصوم اليومين والثلاثة لا يطعم ولا يشرب حتى خشيتُ عليه . وصرتُ بعده كالخاوية القفر وبكيتُ كثيرا . ثم انكرتُ ذلك وتمردتُ فخلوتُ أياما بمحاربي ، وبكيتُ شوقا ودعوتُ خشيةً ولعنتُ الشيطان وأبا هريرة ، وقلت : لا يغلبني . ثم لم يلبث أن وهن عزمي وكرهتُ ليالي يذهب يسكونها أبو هريرة . فخرجت من معزلي . فكنت أجيء باب محاربه في جوف الليل واقنع بنفسه أسمعه كنفس الريح الحيرى أو بنبرات بكائه

اسمعهما كاللؤلؤ . فابكي ويخفق قلبي ثم لا يطيب منامي .

ثم خرج الينا فجائته . وكان كالذاهب البال ، لا يكلم أحدا ولا يسأل عن أحد ، ويكثر من الجلوس في مقبرة الدير . ولم أصبر عنه فأتيته ، فقال : هل نسيته ؟ قلت : لم استطع . قال : وتطمعين بالموت . قلت : وهل أنستك العزلة ؟ فابتسم وقال فإذا ابتسمته في وجهه الناحل الشاحب كالفجر الطاهر : لا أدري . لعلي نسيته الالم . أما اللذة فلا أدري . فكأنه أثبت في سهماء . فالقبت بنفسي وكدت أقع على وجهي ، لولا أنه أقامني واحتماني إلى محاربي ، وقد غلبتُ غلبة لم يكن لي بعدها شدة ولا عزم . فلما افقت إذا هو على رأسي يقول : كذا المرأة لا تكون الا واهنا مقطع الجهد . فإذا هممت أو اشتدت بعض يوم إذا هي رعاد . ثم بقينا أياما بمحاربي ، والدير يحسبنا نتعب ونبتهل وانما كنّا في الشيطان . وكان أبو هريرة يقول : الآن علمتُ وعلمتُ ان اللذة لا تغلب .

فسألته : أوكأنت في منذ الصغر ؟ قال : نعم وفي .
قلت : وقد كرهتها لما فيها من تواضع إلى أمثالك من
الخلق . وكنت من أيام تيقظي إلى محاسني ونعمي
لحمي ادفع الجود بها على الرجال والوقوع تحتهم
والاستكانة اليهم . فكنت اتناساها وانفيها حتى جاء
أبو هريرة وقال : انه لا يتناسى الجسد انساناً الا أكلته
الخيالات . وسألني : هل وجدت في تعبدك امتلاء ؟
اذ ذاك آمنت بانسانيتي ووجدت من حياتي ملأ
لم أجده قبله واتسعت حتى علوت حياتي ، وكنت
خاوية ذليلة مستكينه مستضعفة .

وكانت لنا أيام .

° °

ثم أهملني فكان لا يأتيني الا كالمرغم الكاره .

فبقيت أبكي ويطول بكائي وكان قبل لربي - إلى ان
اعتزلنا جميعاً عزلة ثانية ، وبقي أياماً لا يُسمع ولا يرى
ولا يطعم ولا يشرب . فلما اعتزل دعاني رأس الدبر
فقال : احذري يا ظلمة ان يُهبطك الارض . فزادني
ذلك وحشة على وحشتي وشوقاً على شوقي . ولكني
كنت ضلالي واثمي وأردت أن أبلو نفسي
ودعوت صلاتي ان تُعاودني وربي ان يبرز لي . فبقيت
كذلك أياماً ابتهل وأصلي متبثلة نازعة عن غوايتي
مُنيئة إلى الله . فلم يُجِدني ذلك أكثر مما يُجدي
الطاوي مضغ الحصى . وبقيت خاوية فارغة وقد هوى
ربي ، أصلي فاجد صلاتي كالشهادة الهف ، وأدعو فإذا
جوارحي ترتعد وتخلج ، كأن أبا هريرة قد لبسني
وخلف الله في قلبي .

ثم خرج من معزله . وَخَرَجْتُ فجعته فإذا هو فاتر
الجسم شاحب الوجه منهوك ساهم مدنف . فجزعت
وقلت : وما كان جزاء هذا ؟ فاخذني إلى محرابي وقال

اني أقص عليك يا ظلمة الغيبة تُطالب فلا تُدرَك .
 وكانت نفسه تعوي كالذئب : ولكن كلامه كالريحان
 تذرّوه الريحُ فيموج ويفوح . وقال : انه يا ظلمة اذا
 أقوتِ السماواتُ انهاكتُ على الظهر . قلت : حدثني
 عن الايمان . فاطرق ساعة كالمسيخ إلى ليلة من ليالي
 الصيف هادئة قمراء خالية . ثم قال : نعم ...

° °

كنت يا ظلمة أرى المؤمن مُرتاحاً كاطمئنان الجمال
 تطوي المراحل طياً ولا نصب يبدو ولا شكوى ولا
 عصيان . فأشتهي أن أكون مثله وان اعضد هذه
 الحيرة من قلبي كما تُعضد النخل العقيم . وكنت ممن
 ذهب ايمانه فجاءت حيرته . وليس سواها خليفة
 لله في قلوب الناس . فجئتُ هذا الدبر وقلت : لعلي
 أروض النفس على الايمان .

وقد انتهى اليوم جهادي وعلمت ان الالهة

لا تُقام اذا هوت .

° °

قالت ظلمة : فقلت : وهؤلاء يا أبا هريرة ؟ أعني
 الرهبان . قال : انهم خليطٌ كسوتقاء المرق .

فيهم الهوائيون عبدة الخيالات أصحاب الاحلام .
 الذين يريدون الارض ان ترتفع إلى السماء والحقيقة
 إلى الوهم والذات إلى الظل . وقد حدثني بعضهم يوماً
 فقال : أنظر إلى السماء فأراها نورا والارض فارaha ماء
 ونفسي فارaha شعاعا . ويقول النجوم اخوتي وزهر
 الارض وسادي والشمس طعامي . هل أكلت من
 الشمس ؟ انا طائرٌ أو صخرٌ أو سحاب في السماء .
 فقلت له : فإذا تيقظت ؟ قال : لا أدري في أي بلد
 وقعت وليس من همي . وطلبت مثل احلامه ، فإذا
 صاحب الاحلام اذا ذهبَتْ به قتل الدنيا وانقطع

إلى الفوق فليس في الكون غيره وإنْ هو الا خيال .
وليس أكره من الحيا . عندي .

وفيهم الارضي بلعن ربّه أن ليس من طين مثله ،
ويطلب المغالطة كالذئب يتصعّ جرة الغنم . فكأنه
يقول : يا رب نزعْتُ طيني فانزعْ روحانيتك . ولستُ
ممن يحب الطين ان يرتد اليه كل شيء .

وفيهم يا ظلمة الاعرج الضعيف النفس ، يحبُّ
الكمال السالم ويكره فيعبده ، ويكره ضعف نفسه
فيريد ربّه أن يُقرضه القوة .

وفيهم صاحب الشوق يحزن إلى ما يوسوس
في صدره من ذكرى القَدَم .

وفيهم يا ظلمة الكفرة مثلك ايمانهم خدعة . وقد
جهدوا ان يعلموني ايمانهم . ثم نظرت اليهم يركعون
ويسجدون لله ويكثرون من ذكره ويجعلونه في السماء

يرفعون اليها الابصار ، فلا يذهب ذلك بشيء من
كفرهم . فان أكثرهم يلحون في ذكر الله الجاح الشاك
أو المنكر . وبعضاً منهم يلحون في ذلك اكثاراً من ذكر
الله ولما يعرفه فلماً خاف ان يجده سكن اللسان .
انهم يَخْلُقُونَ ما يعبدون . ويطلبون الغيبة . ولكنهم
لم ينجسوا من انفسهم . بل تفرد بهم شيطان الروح
وماتوا ميتة غريبة . احياء في بواطنهم نيام عن الدنيا ،
قد اتسعت نفوسهم فغطت عليها . اولئك قوم تاهت
قلوبهم واعينهم وغرهم ما غرني من أمر البراهمة بالهند ،
يظل الرجل منهم عامّة دهره يتعبّد حراً أوقراً ولا يُغيّر
من ثيابه ولا يحرك من طرفه ، كانما ذهبت حياته
وذهب جسده ، فكأنه القناء أو الاطمشان الكامل ،
وليس كذلك . كذا رهبان الدير سُكُونٌ ولا اطمشان .

وقد ارتضت رياضتهم وتلوت الادعية وصليت
الصلوات ، وامسكت نفسي أن تكابر الله . فلما
انتهيت فقدت نفسي . ففرحتُ وقلت : قَبِيتُ في

رَبِّي . وقلت هو الله . ثم طلبتها فاذا هي حاضرة لم
تَغِبْ ، وانما انقلب الشكل ؛ واذا روحي لغو من
الاناجيل وعقلي نسيج من الحروف وقلبي من الظلمات
وربِّي وهم من ذلك وليد ؛ واذا على لساني لعنة ذي
المَسْعَةِ يُطْعَم الرِّقُوم .

ونظرت إليهم على اختلاف مذاهبهم ، فرأيتهم
يخدعون انفسهم أولا يعلمون ما يفعلون ، أو يكونون
ادخل من الملائكة في الروح يطلبون محلَّ الالهة
ويقولون : لقد تأله المسيح من قبلنا ، - وهم على ذلك
لا يتخلصون من الحاجة تُنزلهم إلى الغائط ، ولا من
الطعام يُحرك فكوكهم كالابل تجتر ، ولا من الشهوة
يركب بعضهم بعضا ، فقلت : سحقا لآ كالقردة
أو كالحمير . وقلت : سحقا لرهبة لا تكون الا تألها
مستحيلا أو غرورا مؤلما .

ثم خرجت عنهم وعنهما .

قالت ظلمة : فقلت : وقد أخرجتني . فاذا للجسد
مس الجديد المُعاد الخلق . فلم يقل شيئا
وضمني اليه .

• •

ثم هبطنا الارض .

حدیث الاولی

« اذا كان الموت راصداً فالطمأنينة حمق »
(ابن عبد ربه)

« وامصاقي من غد ان أقبلا »
ولاني هامة تعوي بقاع »
(عمر الخيام)

حدث حرب بن سليمان قال :

إِنَّا لَعَلَى بَعْضِ طَرِيقِ الْحَاجِّ نَقْضِي مَنَاسِكَ
الْحَجِّ - وَفِينَا أَبُو هَرِيرَةَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مِنْ عَمَرِهِ فِي
مَطْلَعِ الْفَجْرِ ، يُصَلِّي فَكَأَنَّمَا يَلْهُو ، وَيَدْعُو فَكَأَنَّمَا يُغْنِي - إِذْ
مَرَّتْ بِنَا جَنَازَةٌ . فَقَمْنَا لَهَا فَإِذَا أَبُو هَرِيرَةَ قَدْ أَرْسَلَ ضَحْكَةً
أَذِنَ بِهَا النَّاسَ جَمِيعاً . فَاخْذَتْهُ مِنْ طَرَفِ ثَوْبِهِ .
فَإِذَا هُوَ لَا يَتِمَّا لَكَ - عَنْهَا ، فَهِيَ تَهْزُهُ هَزّاً .

وَلَمْ يُتِمَّ الْحَجَّ إِلَّا وَهُوَ كَالسَّاهِي عَمَّا يَفْعَلُ .

حدیثِ شیطانی

« ما من أحد إلا وله شيطان »
(حديث نبوي)

حدث ابن مسلمة السعدي قال :

كان أبو هريرة كالماء يجري . لم نَقِفْ له في حياته على وقفةٍ قط . كالمستعدِّ إلى الرحيل لا يَنْقُضِي عنه الرحيلُ .



حدیث، احکامات

« اعلم أن اليقظة التي هي لنا بالحس هي
النوم والحلم الذي لنا بالفعل هي اليقظة »
(أبو حيان التوحيدي)

حدث أبو هريرة قال :

تَهت في بعض حياتي وضللتُ السبيل . فكنت
اضرب في الطرق تطرحني هذه إلى تلك ولا
غاية أطلب ولا أمل يُحيي . وكان قد بدأني الشك فكنت
أقبل على الشيء أو الامر فلا يملكني الا ساعة . ثم
يغور همي فيه وتنصرف نفسي إلى غيره . ثم أزداد
فكنت لا أكاد أهتم بالشيء حتى يسقط همي ؛ فكأنَّ
العزم ذوبٌ شتات لا يجتمع لي . إلى أن أصبحت أهتم
بالشيء وعكسه والفعل والقعود عنه هما واحدا ؛ وأشتهي
لو اتفق لي النور والظلمة أو النوم واليقظة أو الشك

واليقين معاً . وبقيت كذلك اياماً طويلاً لا أعلم ما
اصنع حتى كدت أجن . ثم مرت الايام فاستقرت
واستأنست . وقلت : ما الدنيا ما هي حتى تذهب
انفاسنا فيها ؟ وما الآخرة ما هي حتى تذهب فيها
دنيانا ؟ ثم اعمل فلا يكون لانس ولا اله ولا جان ولا
يكون كفرا ولا ايماناً ولا صلاحاً ولا فساداً . وقلت :
لم يبق الا أن أطلب ذاتي مُطلقاً وما هيتي وأعرض عن
المحمول واللاحق والعارض . وكذلك ذهبت ساعتي
في ساعتي وعزمي في عزمي ، كالنور يأكل النور أو
كالشمع يضيء فيحترق . حتى لقد ظننت أن الناس
لا يجدون لي اثرًا اذا مُت . وألح عليّ داعي الاوساع
الحاحاً ، واقتضاني الصفاء .

• •

فلما تطهرت أقبلت على البحر .

فهانني البحر .

• •

واني لفوق البحر يوماً على جبل مشرف اذ جاء رجل
كالناسك فجلس بقربي وهو مطرق ساكن كالبيت
الحرام . فأقبلت عليه أنامله فإذا هو في عظمة الفيل
وعليه سمة الحكمة والجلال . وهو في ذلك كله لا يقول
شيئاً . ومضت لنا ساعة ثم قلت : ان كنت ناسكاً
فالسalam عليك . قال : لست . وعليك السلام . ما
الذي لك في البحر ؟ قلت : شيء من الروعة . قال :
كذا عبيد الله جميعاً ، على خمسة البحر . انزل فندخل
الماء ؟ فنشطت وقام فسلك بي منحدرًا بين الصخور
الهاوية كأنه السراط لم أر مثله منحدرًا شديدًا . ونزلنا
إلى الماء فإذا الرجل يغوص فيسير في الماء غورًا فينسب
على القعر كالثعبان ثم يطفو كالذكرى ، وشعر رأسه
يسيل على وجهه . ثم يتوسد الماء ويضطجع على جنبه

ويندفع يطوي الامواج طيا فهو أمهر من عرفتُ سبحًا .
وأخذ من أمره مأخذه ثم عاد اليّ فقال : ألك في أن
أعلمك ؟ قلت : نعم . على قصّر انفا سي وقلة بلائي
في الماء . قال : لا بأس عليك من ذلك . ثم ضرب
إلى عضدي وساعدي وقال : هذا محال ان يأخذه
الشك . وكان يقول : السباحة ان تنوق إلى البحر وتنوق
اليك . ثم لم يزل بي حتى علمتُ الماء كيف يُكثر
القوة والنفس ويوقع في الاعضاء رقصا . وكنا نغوص
ففسير معا فكأننا في سعة البحر .

فلا والله ما رأيتُ مثله مذهبةً للشلل .

والرجل في ذلك كله لا يحدثني بشيء من
أمره ولا يخبرني بشأنه . حتى جاء الخريف وقد طابت
لي صحبته .

• •

فلما أخرجنا سأله فقلت : ما خبرك وما شأنك على
هذا البحر ؟ قال : شأنٌ كلا شأن . فيم السؤال ؟ إن
السؤال من علل الانسان . أتحب القصص ؟ قلت :
نعم . قال : وتفهمها ؟ قلت : لا ادري . قال : فهي
قصة الحكمة . وانا قاصها عليك .

كانوا يسمّونني أبا رغال . أما الآن فلا اسم لي .
قلت : مررت على قبر بالطائف يقال هو قبر أبي ثقيف
أو أبي رغال . قال : نعم . هو قبري وقد مرّ عليه رسول
الله . وكانوا يقولون : أنت سيدنا وخليفة الله فينا .
فقلت : انهم جعلوني عليهم ملكاً مطلق الفعل .
فاللهم أوح اليّ من روحك . وبقيت في انتظار الوحي
فلم ينزل . وتعلّمتُ الحكمة . قلت : ومن علمكها ؟
قال : امرأة رأيتها في يوم شديد ذي مطر وريح وقد
خرجتُ إلى الهطل حتى امتلأت ، فشعرها وثيابها

كانهار عدن . وكانت تضحك كالمصابة العقل . وما كانت الا التي اهتدت إلى سبيل الحياة . وعلمنيها سكير يبيكي في ليالي الشتاء . ويقول : هل من خلاص من الحياة ؟ وكان لا يصحو ساعة الا ذل كآدم يوم أُهبط الارض . وعلمتني الكتب ما ليس من الحكمة . فلما تعلمت الحكمة جرّت فيهم فعرّثتهم وافرثت نساءهم وسقيتهم علفاً وخنقت عليهم حتى كانها نعمة من الله . قال أبو هريرة : فقلت ولم فعلت بهم هذا ؟ قال : لان الوحي لم ينزل ولاني نظرت حتى طار لتي . وكانوا يقولون : انه لمجنون . وكنت أقول لمن يسألني في جورى : ثم أضرب رأسه : إن قوماً يكون فيهم مثلي من الاشرار ولا يقتلونه أو يعقلون يديه ليسوا باهلٍ لشفقة ولا رحمة . ثم قويت واشتد بأسى وقلت : لا حياة في غير الشدة والعنف . فامرّت فضربت اعناق المرضى والضعفاء كلهم والعمي والعرجى والمصابين جميعاً . وظننت أني أصيب به صحة . فلما

مئلت بهم فسجدوا مؤمنين خاشعين امسيت فلم اصبح . وكانت مؤتني الاولى .

• •

وبقيت أياماً بغار حراء فإذا جورى قائم في يطلب أن يجور عليّ ، وخشيت أن اقتل نفسي ظلماً . فممت فزلت اليهم .

• •

وجمعتُ حكامهم وناديت في الملأ اني تُبِت وأرجو أن تُقبل التوبة وأنهم يغفرون لي عسى الله يغفر . وقلت : نخرج الخير من الشر والشر من الخير ، أو نمحو الخير والشر معا . فاذا هم عظام . وقالوا : مننت بحقن الدما واسكان الروح . وهو مردود عليك يوم الحساب . فقلت : دينكم كانكر صنيع اليهود : حساب في حساب . ثم امرت فحلفت لحاهم ورؤوسهم حتى

صارت كالْعُنْصَل . وقَدِمْتُ لَهُم الخمر وقلت : خذوا
من حَكْمَتِي . ففعلوا ثم خرجوا يَسْقُونَ الارض سَقًا .
فَنَظَرْتُ اليهم ونفَلْتُ . وجاءني قومي فقالوا : انك
قاطع نعمتنا ومُلَكْنَا علينا وإِنَّا نراهم قاتليك . قلت :
لو فعلوه لشكرتهم واعظمتهم . ولكنهم لا يفعلون .
إِنَّهُمْ حَقَّارَةٌ نِسْوَةٌ .

ثم قلت : أَجْعَلُ لَهُم اسبوعَ اباحَةٍ فأنظر ما يصنعون
وجعلت ذلك فناديت : إِنَّا أَبْحَنَّا لَكُمْ اعمالكم
سبعة أيام بلياليها . فافعلوا ما تشاؤون . ثمَ نَظَرْتُ فإذا
هذا في أرضه يحرق وذلك مقبل على تجارته وماله
وآخر يقتل وينهب على عادته ويسفك . ورأيت
الحكماء في حَكْمَتِهِم يبيعون منها ويأكلون خبزاً ،
والمصلين في صلاتهم ، والاشرار في شرهم والاخيار
في خيرهم . ولم أجد الا رجلاً ضربت إلى البادية فإذا
هو وحده . فقلت : هذا ضالتي . واقبلت عليه اقبال
الحفي المبتهج وسألته في أمره . فقال : أبحث عن نجم

سقط عني هنا ولعله غار في التراب . فهو مجنون هائم
على وجهه . وعلمت ان لكلٍ منهم محلُّه من الحياة
وحتى المجانين كمحلَّ الكلمة من الاعراب : فكأن
سيبويه مدبِّر شأنهم . قال أبو هريرة : فقلت ومن
هذا ؟ قال : رجل سيخلق ويستكر النحر . ثم قال :
ولم أزل كذلك حتى ذهب ايماني بالناس جميعاً
ومعاشرتهم وتقتُّ إلى الوحدة الواحدة . وقلت :
انه لا يحسن الفعل الا مطلقاً محضاً . وليس الحبُّ
حباً حتى تقتل من تحب وليس الخير خيراً حتى
يتبدَّد في نفسه . ولم يبقَ بَعْدَهُم الا برِّي بأمي .
وكانت شديدة الحب لي فانا أحبها لذلك . وكانت
لا تُنْكِر علي شيئاً من أمري وتقول : أدعوا الله ان تكون
مُحَقَّقاً فيما تفعل . فلما آنحصرت فيها جثتها فاردتها
فكأنها لم تفهم . ولكنها ماتت في نفسي . فخرجت
وقد مُتُّ موتي الثانية .

فأنا هنا من يوم خروجي .

جئت هذا البحر وهاته الجبال التي لا تَرَى فيها
الا صخورا هاوية على صخور هاوية . وقلت :
أكون أو لا أكون . وكانت قبلُ حياتي قبيحة شوهاء
لاني لم أحذف زواياها ولم أهدب النائي فيها ولم أنزع
متناقضها . فجرتُ حتى اغتبتُ النَّاسَ جميعا في
نفسي وخلوت بها . فخلقتُ لي سبيلا فأنا عليها ولا
قافلة ولا رفيق . فكأنني قد أضعتُ ظلي واستحال عليّ .
ألم ترأني لا ظل لي . قال أبو هريرة فقلت : لم أروا الله .
فقال : وقفت يوما فاذا هو قد تهادى في طريقه
كالراحلة تعصيك وتطرحك وتسير ، أو كروح الميت .
ثم جعل أبو رغال يضحك فيقهقه فأجد منه كالبرد .
ثم سكت فقال : فلما ضاع ظلي جئت البحر وخلوت
إلى الحكمة . وقلت : لا بد أن أخرج من تناقضي .
فالروح والجسد كالحيوت في الماء أو لا يكونان ويُهْلِك
احدهما الآخر . ونظرت فلم أرك اتحاد الجسد والبحر

بما لكان ويتغالبان ويتلاعبان ، فيحمل الجسد الماء
ولا يمتنُّ عليه ، لا كالروح تحمله وتمن عليه وتكرهه
وتقضي عليه . وقلت : الحكمة الاعتدال . وقد تمت
لي . قال أبو هريرة فسألت : وما الاعتدال ؟ فقال :
اعتدال الحيوت أو الموت يا أبا هريرة . وانه ليس كالحركة
الدائمة قاتل ولا كالسكون المحض سعادة وشفاء .
فقلت : وما كان منه ؟ قال : اتريد أن ترى ؟ قلت :
نعم . قال : هات يدك . ثم أخذني من يدي وذهب
بي إلى صخور الجبل فقال : انظرها متدلية في الجو
لا تُشدُّ إلى شيء . وقد غلبت تجاذب الاجرام كما
غلبت الارض بالبحر . فنظرت فلم أر شيئا . فقلت :
أنا لا أرى شيئا . قال : أنت أعمى يا هذا . أولا ترى
ما نحت عليها من صور واشكال ؟ هي ما كان مُمكنًا
من الخلق ثم استحال . أنظر . هذا مخلوق تُحِبُّه
السماء ثم لا يكتفي فيجبل وبلد دونها . علة للمخلوق
والولادة . علة الارض وبنيتها . وهذا الا تراه ؟ انه جسد

ولا صورة وذات ولا صفات ، كأنه نجمٌ مات ولمَّا
 ينقطع نوره . هو أنت ، هو أنا ، مستحيلا . وهذا أيضا .
 انظره في خشوعه كأنه العين يغشاها القذى . انت
 حمارٌ لَيْسَتْ له اذنان . وانما أردت أن تعلم أنك انا
 وأنتي انت وأنا غيرنا وأن الجنة من نفسك كما كانت
 نفسك من تراب فصارت طائرا في السماء . وهاته كلها
 كالمخلوقات التي حبستها بغاري . تريد أن تراها ؟ قال
 أبو هريرة : وكان في عينه وهو يقول كمثل نور النبي
 يُوحى اليه ، فقلت : نعم ، وأنا لا أجرؤ على الامتناع
 خشية جنونه . فذهب بي إلى كهفٍ في الجبل مظلم
 ضيق كساعة شؤم . ووقف بي على بابه وقال : لقد
 جعلت بقصري هذا جماعة من الخدم والجواري
 الحسان لا آكل منهم أحدا . انما إذا نفذت روحي
 عمدتُ إلى احدهم فقتلته وتلطختُ بدمه فانا من
 خلق جديد . هذا طعام الروح . الا تنظر اليهم في
 أغلالهم كالأسد ؟ ثم تقدمنا قليلا فنظرت فإذا

جرادات كثيرة مشدودة بخيوط حمراء . فقلت :
 انها لبديعة الحسن . فجلس يمسح عليها ويقول :
 ان دماءهم منوطة بالفلكيات لا تقع للنفس الناطقة أو
 العقل الفعّال الا من نور الهبولى . ولو جاز تعدد العلل
 وانتفت الفاعلة والمادية والصورية والغائية لكان تعلق
 النفس بالجسد من تعلق الجرب بالشاة الجرية . لكن
 الواجب بذاته والواجب بغيره لا يلتقيان الا وتتناطحان .
 وهما لا يكافئان الواجب الوجود لما بينهما من فرق في
 التجريد والابداع والتدبير . وشرائط الامتناع كشرائط
 الامكان بابها واسع كالبحر . قال أبو هريرة : فقلت :
 لقد مات مؤتته الآخرة . وقلت : نعم . هي احلامك
 كالسمك يُصاد فيوكل الشص وتنفذ مصاييح دجلة
 والقرات . قلت ذلك مجازاة لجنونه وانطلقت اضحك
 وانطلق حتى استلقينا . ثم قال : انت مجنون . فارتعتُ
 وانزعجتُ حتى ارتعدتُ واهترزتُ وخفتُ أن يكون
 ذلك جقَّ اليوم أو غد .

فلما خشيت على عقلي قلت : لم يبق الا أن
أطلب النهاية .

وأردت الانصراف فقال : احب أن تصبر حتى
أهديك شيئا . ثم غاب في الجبل فجاءني بقلم
وقرطاس وقال : قد تحتاج اليها يوما فتجعل عليها
خطوطا ودوائر ونُقْطًا في وسطها بياض .

فأخذتها وانصرفت مُظْلِمَ العقل والقلب .

حديثي الجمود

حدث أبو المداثن قال :

جئت ابا هريرة ليلة فاذا هو في جمود
الصخرة لا يشكو ولا يستطيع اليه سبيلا
ولا يبكي . فقلت : أوكالرحى تدور على قلبها ولا طعام
وترحي ؟ قال : انه يا أبا المداثن ليس في الناس الا ساء
عن اخيه . خرجت ليالي عدة اهيم على وجهي وانا اتوسل
إلى كل عابر طريق ألقاه ان يلطمني لطمة تذهب بي
فتحييني ، فلم يرحمني ولا ادركها مني احد . حتى
ليستحيل علي في النوم حلمي . فانا الليلة على ذلك .

أَلَا تَقُلْ وَنِلٌ لِلَّذِينَ يَمُوتُونَ ثُمَّ لَا يُعْعَشُونَ .

قال أبو المداين : وكان ذلك في آخر أيامه .

حديث البعث الآخر

« ان دالي الصدى »
(بشارين برد)

« اللولاذ بأبي السكون والسلام ، والنار ،
« تأباه و » برويتي « بأباه . لانه ما زال لعقل ،
« الانسان درجات عدة لا بد له من ارتقاها ،
« قبل ان يبلغ الذروة »

(بويسر)

حدث أبو المداين قال :

جاءني رسولُ أبي هريرة يوماً يقول انه يدعوني
لساعته . فاسرعت اليه وانا افكر في ما عجل به
إلى دعوتي واخاف ان يكون وقع به ما يُكره . فلما
دخلت عليه رايته جالسا وقد جعل بين يديه اوراقا
واقبل عليها وهو مطرق ساكن كأنه النوء يتمخض رعدا .
وكان بيده قلم همَّ بالاوراق ثم توقَّفَ وقد ذهب
حمُّه . فسلمتُ وجلسْتُ فإذا ابو هريرة قد القى القلم
على القرطاس وصرف وجهه اليَّ فابتسم وقال : كم
سنتك ؟ فضحكت وقلت : ألهذا دعوتني ؟ فقال

وحرك راسه : وددتُ والله لو أني خلوتُ عن العمر
وأخذتُ سِنِّي فزرعتها في ربح الصبا . ألك في يوم
ليس من الدهر ؟ قلت : ومتى كان الدهر محدودا
فتخرج عنه ؟ قال : لقد كان منذ اليوم . انظر هذا .
واخذ ورقة والقاها إلي . فإذا عليها خطوط قائمة
ودوائر ونقط سوداء تكبر وتصغر وفي وسط الورقة بياض
ناصع . فقلت : أطلسمُ أم عبث ؟ قال : بل عتق
الزمان وقد ضُرب أو استفهام ولا معنى . فلم افهم من
كلامه شيئا . ولكنني صبرت وقلت : وهذا اليوم ؟
صرفا للكلام عن غريباته . فقال : نعم . تاتيني غدا
قبل الغروب وقد تطهرت . قلت : افعل ان شاء الله . ثم
قمت فسلمت ، وعاد إلى اوراقه ، وانصرف وأنا
حيران .

• •

فلما كان الغد جثته في ساعته وأنا طاهر كعادتي

قبيل الغروب . فإذا هو قد اسرج فرسين وقام يتوقّعي .
فاكدت ادخل واسلم حتى استوى على فرسه وهمزته ،
فقام قيام النبل . فركبتُ وشرعتُ اثره حتى لحقته .
فقلت : اين بنا ؟ قال وضحك : إلى مغرب الشمس .
انظر اليها وقد احمرت وغربت في عيني . والله لا
أسف الا على مثلها من الدنيا . وأشار اليها وهي على
الجليل كالدم المَهراق . فضقت بقوله وقلت : الا
تنتهي ؟ إلى اين ؟ قال : لم أَرِدْ غير الفسحة والهواء
يسودُ والسماء تلين . ما كان من امر الدنيا اليوم ؟
قلت : لم يكن ما يُذكر . قال : ألم تكسب مالا ؟
قلت : بلى بعون الله ، كثيرا . فقال : اتعلم اني
اشترت لي ضيعةً اخرى ؟ قلت : على بركة الله . قال :
نعم على بركة الله ... وأما الاولى فقد جعلت فيها من
يُحبها حتى تلد وكتبتها لك . فرأيت ما زحاً وما كان
كذلك الا في شطره . فقلت : الحمد لله أن عاد
لك من التدبير ما قد يشئت منه . وكان لم يكسب في

حياته مالا قط الا خرج عنه قبل الدخول . قال :
لقد ذهبت لي اليوم فوق الاربعين من السنين وقد آن
الرشد . اتذكر يوم التقينا عند حُبابة المغنية وقد دخلتُ
عليكما كَرَّها ؟ فقلت : وكنت في عريضة لم ارمثلها قط .
فقال : واحببت ان نلتقي عليها فكرهت ذلك
وأردت الباب ، فامسكتك عنوة ، وعلا صوتُها
فلطمتمُها لطمَةً طَوَّحَتْها . ثم مرَّقت ثيابها وحملتك
عليها واخذت معك الفخذ والقم والعينين وجعلت لك
الباقى وقلت : اُفعل مثل فعلِي . واقبلت على جسدها
الاسمر اقبالَ المريدِ النهش ، فصحت وارتعت
صباحَ ربَّات الحجال . قلت : نعم . وقد اراك
فكأنه قد اصابك طائف من الجن . فتنهد وقال :
وان كنت الا في ساعة حكمة . وقد هممت بلحمي
مرازا بعدها اريد تمزيقه . اتعلم ما كان من امرها ؟
قلت : لم أعد اليها بعد يومنا ذاك ولم اطلب والله خبرها .
فابتسم ابو هريرة وقال : لانك تزوجت امرأتك بعدها

بإيام . لقد قتلُها وقتلتُ كثيرا غيرها لثلا اقتل نفسي .
وقد ذهب والله في الريح هباءً . قلت : انك لم تفعل
هذا . قال : وقد فعلته . ثم سكت وسكتُ وانا اراه
يكذبني . ثم قال ، وقد نزل به من الفرح كنوبة
الحُمى : لقد خرجنا من الظلمات إلى النور . فقلت
وانا انظر إلى الليل الغاشي : بل من نور النهار إلى
ظلمات الليل . وعثر فرسي حتى كدت اقع على وجهي .
فنظرت فاذا نحن قد وصلنا جبلاً حَزِيْزاً صَعُوداً .
فقلت : او تريد بنا شراً ؟ قال : كلا . انما اطلب
النهاية . وذهب صاعدا وذهبتُ وانا لا اكاد ارى
امامي شيئاً لشدة الظلام . وانما كانت بالافق
الغربي بقايا نور تائهة كأنها الخير في قلب شيطان . وثقل
عليَّ السير مظلماً فأردته على الرجوع فقال وأبى :
نحن إلى ذلك بعد ساعة . ثم ضحك وقال : الا
تسمع ظريفةً تحمل عنك مشقة السير . قلت : هاتها .
وكان عهدي به لطيفَ الظرف اذا اراده . قال :

أَظْلَمْتُ يَوْمًا فَطَلَبْتُ لَعْبَةً أَوْ عِبْنًا أُفَرِّجُ بِهِ عَنِّي .
فَجَمَعْتُ صَحَابَةً لِي عَلَى دَعْوَةٍ دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهَا . وَكَانُوا
كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ لَا يَسْكُنُونَ عَنْ ذِكْرِ
الْآخِرَةِ وَلَا يَتَّبِعُونَ الْهَوَى وَلَا يَشْرِبُونَ إِلَّا سِتْرًا . فَلَمَّا
حَضَرُوا ضُرِبَتْ لَهُمُ الْوَأْنُ الطَّعَامِ وَالنَّبِيذِ الْجَدِيدِ . فَجَعَلُوا
يَنْظُرُونَ إِلَى النَّبِيذِ وَلَا يَجْرِئُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ مَنكُورُهُ عَلَيَّ .
فَقُلْتُ : كُلُّكُمْ يَشْرَبُ فَلَا حَيَاءَ فِي الْجَمَاعَةِ . وَكُنْتُ
شَرِبْتُ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى حِدَةٍ وَخَلْوَةٍ ،
فَاسْتَبَشَرُوا وَتَضَاحَكُوا وَقَالَ الْوَاحِدُ لِلْآخَرِ : وَانْتَ أَيْضًا .
ثُمَّ أَكَلُوا وَشَرَبُوا حَتَّى انْقَلَبَ كُلُّهُمْ فَرِحًا . فَلَمَّا
اِكْتَفَوْا وَاثْنَا عَلَى طَعَامِي وَطَابِخَتِهِ وَنَبِيذِي وَسَاقِيَتِهِ . قُلْتُ :
وَالَّذِي أَدْخَرْتُ لَكُمْ خَيْرٌ . فَارْتَمَتْ الْإِنْفُسُ مِنَ
الْعَبْوَنِ إِلَى ذَخِيرَتِي . فَاشْرَتْ إِلَى الْجَارِيَةِ بِشْيءٍ
فَقَالَتْ : نَعَمْ . وَانْفَجَرَتْ ضَحْكًا حَتَّى كَادَتْ تَكْشِفُ
الْأَمْرَ كَشْفًا وَيَصْحُو أَصْحَابِي . فَزَجَرْتُهَا فَلَوَتْ
وَخَرَجَتْ . ثُمَّ عَادَتْ وَأَوَمَّتْ أَنَّ قَدْ نَهَيْتُ الْأَمْرَ .

فَأَخَذْتُ أَصْحَابِي وَهُمْ كَأَنْفَاسِ الرِّيحَانِ وَخَرَجْتُ بِهِمْ
إِلَى مَجْلَسِ الْغِنَاءِ . فَقَالُوا : أَقِينَهُ لَا نَعْرِفُهَا ؟ قُلْتُ :
نَعَمْ ، وَلَمْ تَسْمَعُوا وَاللَّهِ مِثْلَهَا . فَصَاحُوا أَعْجَابًا . وَدَخَلْنَا
الْمَجْلِسَ وَقَدْ ضُرِبَتْ فِيهِ سِتَارَةٌ . فَاجْلَسْتُهُمْ وَقُلْتُ :
الْآنَ تَسْمَعُونَ . وَضَرِبْتُ فِي يَدِي . فَسَمِعُوا مِنْ وَرَاءِ
السَّتَارَةِ صَوْتًا وَغِنَاءً وَضَرْبًا رُومِيًّا لَمْ يَجِيءْ بِمِثْلِهَا أَحَدٌ
قَطُّ . ثُمَّ سَكَنَ الْغِنَاءُ وَقَامَتِ أَصْوَاتُ أَصْحَابِي
بِالْأَعْجَابِ . فَقُلْتُ : أَلَا تَسْمَعُونَ ؟ فَسَكَنُوا فَإِذَا بَيْغَاءٌ
مِنْ وَرَاءِ السَّتَارَةِ يَحْكِي كَلَامَهُمْ أَقْبَحَ حِكَايَةٍ .
فَضَحِكُوا فَضَحِكَ الْبَيْغَاءُ ضَحْكًا مُشَوِّهًا كَرِبَهَا .
وَتَكَلَّمُوا ثَانِيَةً فَفَعَلَ بِهِمْ مِثْلَ فَعْلِهِ الْأَوَّلِ ، وَأَنَا أَنْظُرُهُمْ
وَابْتِسِمُ . حَتَّى غَضِبُوا فَغَضِبَ الْبَيْغَاءُ وَارَادُوا الْإِنْصِرَافَ
فَارَادَ ذَلِكَ . فَضَحِكْتُ وَاللَّهِ حِينَئِذٍ حَتَّى اسْتَلْقَيْتُ .
ثُمَّ قُلْتُ : أَصْرَفُوا مِلْنَا . وَكَانَ اسْمُ الْبَيْغَاءِ . فَصَرَفُوهُ
وَسَكَنَ الْغَضَبُ وَالْإِنْصِرَافُ عَنْ أَصْحَابِي . وَقَالُوا :
لَنَا عَلَيْكَ بَعْدَ هَذِهِ السَّخِرَةِ أَنْ تَسْمَعْنَاهَا مَرَّةً ثَانِيَةً .

يعنون القينة . فقلت : نعم . ثم صفقت بيدي
فصنق البيغاء بجناحيه . فسمعوا أحسنَ مما سمعوا
قبلا حتى ذهب بعقولهم وصاحوا كلهم : لقد أغنتُ
عُتَّةَ عجيبة . تخرجها لنا فهي من بنات الجن او الجنة .
قلت : بل من بنات الروم . زرقاء العين صفراء الجلد
حمراء الشعر كانها الدنيا . فقاموا كلهم وصرخوا
كالواحد : تهيا لي ليلة . قلت : اما الآن فلا . ولكم
عليّ ذلك كل بدوره . وأبدأ بأكبركم سناً . وإنما
انتم الان ناظروها . ثم قمت فازاحت الستارة فاذا
وراءها البيغاء في قفصه . وجارية لي عجوز تحسن
الضرب وليس انكر من صوتها وكانوا يعرفون ذلك منها
فقالوا : وأين روميتنا ؟ قلت : هي ذي . واشرت إلى
البيغاء . وكنت وقعتُ عليه عند تاجر اخذه من بلاد
الروم في بعض قوافله اليها ولم يقدّر له قدره فباعنيه ثمنا
بخسا . على غريب ما كان يحسن من حكاية
الاصوات حاضرها وماضيها . فجعلت منه ملهاة في

تلك الليلة . فلما قلت ذلك شتمني اصحابي حتى
افحشوا وانصرفوا انصرافا لم يكن لهم بعده عود .
وبقيت اعتبر البيغاء .

• •

قال ابو المداثر :

فجعلت اضحك من قصته مع اصحابه حتى
كدت أقع ولم اتمالك عن ربح سمعها ابو هريرة .
فضحك وقال : انتفض وضوءك وقد حانت الصلاة .
فخرجت وأمسكت عن الضحك وسكتنا جميعا .
ومضت لنا ساعة ثم اذا هاتف يهتف شعرا في صوت
ما سمعت أروع منه :

أنا الحق بناديك

أنا الحب بناغيك

أنا الشوق طغى فيك

تعالَ على الدهرِ تَمامَ إلى سِخري
فأُكشِفَ عن سِري ضياءَ كضياءِ الفجرِ

يُرويك من سِري

أنا الحق طغى فيك

أنا الحب يناغيك

أنا الشوق يناديك

حبيبي حبيبَ الأبد تخلفُ وهيّا نُصداً

علوم الغيب

خفايا الربِّ

وَقُمَ كالرماحِ إذا ما عَلتُ
مَهَبُ الرِّيحِ تُعالي الجبلِ
وَطَرِيّا جناحِ فها قد بَدَتُ
شواطئ الأزلِ

فاسمع أبا هريرة يغني وكأنه النار انتقلت أو الله ينادي
في الكون بالبعث :

أبا حق ليك

تباركتَ ليك

حبيبي جلالِكَ

أنا الآن اليك

تعال فؤادي ،

فهذي السماء باوج العلاء

لروحي تنادي ،

وهذا خليبي

بضيء سناء ضياء السماء

بنيـر سيلي

ثم سكت فإذا أنا اسمعه يقول : هذا ما كنتُ
أطلب . اتذكربا أبا المدائن يوم وقفتُ عليك بدكانك
اشتري عنك شيئاً فجاءني من اخبرني بمریم وُلدتُ؟..
- يعني واحده وقد ماتت صغيرة - ولم يكذبتم كلامه
حتى حث فرسه وارسله كالريح ، فاسمعُ حوافره على
الصخور كالرعد . وغاب عني في الليل . فلم تمض

هنيهة حتى سمعتُ صخورا هاوية وصهيلَ ألم وصيحة
كصيحة الفرح تملأ الوادي واقشعر لها جلدي ، فكان
الامر مأدبة شياطين . ثم سكن كل شيء وناديت
فلم يجبني احد . فازمت مكاني إلى الصباح . فلما
اصبحت نظرت فإذا أنا على قمة جبل يكاد يبلغ
السما ، واذا دم على الصخر ، واذا تحني هاوية
يقصر عنها مدى العين .

رحم الله أبا هريرة . لقد كان أعظم من الحياة .

المراجع

(1) أدباؤنا بأقلامهم (استجواب) : مجلة الندوة العدد 4 - 1956

خلاصة آراء المسعدي في الادب وتعريف مذهبه فيه .

(2) محمود المسعدي وكتابه السد : تقديم نير الدين صمود . الدار التونسية
للنشر - 1973

فصول وردود ومناقشات عدة حول المسرحية .

(3) الشاذلي القليبي : مقدمة « للسد »

الطبعان الاولى والثانية للنص . تحليل مدلولات المسرحية من وجهة نظر
وطنية ملتزمة .

(4) محجوب بن ميلاد : مقدمة « للسد »

الطبعان الاولى والثانية للنص . دراسة فلسفية لمعاني المسرحية

الفهرس

١١	 مقدمة
١٣	 تمهيد
١٧	 اوجاع الافاقه على التاريخ العاصف
٤٥	 الفاتحة
٤٧	 حديث البعث الأول
٥٩	 حديث المنزح والجد
٦٧	 حديث التعارف في الخمر
٧٣	 حديث القيامة
٨٧	 حديث الحس
٩٣	 حديث الوضع

(5) محمد فريد غازي :

الادب التونسي المعاصر (بالفرنسية) مجلة

(الشرق) 1959 .

(6) محمد اليعلاوي : الشكل في « حدث أبو هريرة قال ... » حوليات

الجامعة التونسية - 1975

بحث في النواحي الاسلوبية من لغة الكاتب في هذه القصة .

(7) محمد رشاد الحمزاوي : خواطر حول بعض الاحاديث من « حدث

أبو هريرة قال ... » مجلة « الفكر » جوان 1978

محاولة تحليل بعض المظاهر النبوية في القصة .

(8) محمود طرشونة : الادب المريد في مؤلفات المسعدي . الدار التونسية

للنشر - 1978

دراسة مواقف المسعدي من وجهة نظر فكرية واجتماعية .

مذكرتي سلسلة "حيون المعاصرة"

عز الدين المديني
من حكايات هذا الزمان
تقديم سمير العيادي

عبد الرحمن منيف
شرق المتوسط
تقديم حسين الواد

مصطفى الفارسي وتيجاني زليمة
الطوفان
تقديم عبد الفتاح ابراهيم

عمر بن سالم
عشتاروت
تقديم محمد رضا الكافي

محمود المسعدي
حدث أبو هريرة قال
تقديم توفيق بكار

الطيب صالح
موسم الهجرة إلى الشمال
تقديم توفيق بكار

حنّا مينه
الياطر
تقديم رشيد الغزي

أميل حبيبي
المتشائل
تقديم توفيق بكار

- ١٠٧ حديث الوضع ايضا
- ١١١ حديث الشوق والوحدة
- ١١٥ حديث الحق والباطل
- ١٢٣ حديث الحاجة
- ١٢٧ حديث الطين
- ١٣٥ حديث الكلب
- ١٤٧ حديث العدد
- ١٥٩ حديث الجماعة والوحشة
- ١٦٥ حديث العمى
- ١٦٩ حديث الحمل
- ١٧٥ حديث الغيبة تطلب فلا تدرك
- ١٩١ حديث الهول
- ١٩٥ حديث الشيطان
- ١٩٩ حديث الحكمة
- ٢١٥ حديث الجمود
- ٢١٩ حديث البعث الآخر